A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

962.052
M397aA
c.1

عشرة أيام في القاهرة

قابلت
جلالة الملك فاروق الاول
وشهدت ولادة
جامعة الدول العربية

Cat. Jun. 52

بقلم
عبدالله المشنوف

79120

منشورات
دار الكشاف — بيروت

حضرة صاحب الجـــلالة فاروق الاول المعظم

اهداء الكتاب

•

إلى صاحب الجلالة

فاروق الاول المعظم

ارفع بولاء واعتزام هذه الذكريات

ذكريات المقابلة السعيدة

وذكريات ولادة دنيا جديدة : دنيا العرب !

ع.م.

مقدمة

•

هذه صفحات كتبت بعضها في زيارتي الأولى لمصر عام ١٩٣٧ يوم تشرفت بمقابلة جلالة الفاروق المعظم ، وبعضها في الايام العشرة التي قضيتها في وادي النيل عام ١٩٤٥ وشهدت فيها ولادة جامعة الدول العربية ، أحببت أن أجمعها في هـــذا الكتاب ، لا لأنها تستحق النشر ، ولكن لأنها رمز لذكريين حبيبين الى قلبي : مقابلة الفاروق واجتماع شمل العرب على ضفاف النيل ...

المؤلف

محطة في السماء الاولى

•

« لك يا صديقي ان تطلق عـــليّ ما شئت من النعوت ، فلن ابدل رأيي ، ولن يمنعني هذا من مصارحتك باني اخاف ركوب الطائرة . لك ان تنعتني بالوهم او الخوف أو الجبن ، فاني قانع بان ادب دبيب النمل على ظهر كوكبنا الجميل ، وهنيئاً لك يا صاحبي عالم الحقيقـــة والجرأة ، هنيئاً لك عالم الاجواء الفسيحة تزاحم فيه ذوات الجناح ؛ تفطر في بيروت وتتغدى في القاهرة وتتعشى في الجزائر وتنـام في باريس وقد لا تنام ، وقد تظفر بالراحـــة الكبرى ... أمـا أنا فاني لا اود استعجال لقاء وجـــه ربي الكريم ... ! »

بهذه الكلمات ودعت رفيقي في مطار « المزة » بدمشق بعد ان اوصيته خيراً بزوجتي وصغاري ... وبهذه الروح وبهـذا التطير ، مرت نحو الطائرة المصرية ذات المحركات الاربعة ، وكنا ستة ، نسير بخطى مثقلة وئيدة ، وعلى وجوهنا امارات الاستسلام لمشيئة

الله كالمحكومين بالاعدام ، فيتسلمنا الجلاد على باب الطائرة ويزج كلاً منا بدوره في مقعده بعد ان يناوله شيئاً من القطن يحشو به اذنيه !

يا لله نحن اذن على أتم الاهبة والاستعداد للقاء المولى تعالى فقد وضعوا في آذاننا ما يوضع في آذان الموتى في تجهيزهم من القطن !..

وتحركت بنا الطائرة وسارت سيراً وئيداً ثم ارتفعت ثم حلقت وجعلت تهبط تارة وتعلو أخرى ، فلم اشعر بما يشعر به المسافرون من دوار ، فقد الفت سفر البحر ، ولكنني كنت في مقعدي فريسة لخيالات مزعجة عجيبة كلما طردتها عادت وهي اشد ما تكون الحاحاً ووضوحاً ...

قلت : أتسلى بالنظر الى الدنيا من عل ، وانا الذي كان يسعدني الاستمتاع بالنظر الى الامور من بعيد فلا اضيع في تفاصيلها التافهة ، وكان يلذ لي الاستماع الى الجوقة الموسيقية من بعيد ايضاً فلا تختلط عليّ انغام العازفين والحانهم . لقد وددت في تلك اللحظة ، ان أعود جزءاً حقيراً تافهاً في لوحة الارض ، او عازفاً بسيطاً يشترك مع اخوانه العازفين في معزوفة الفناء يوقعها ابناء الارض من الازل والى الابد ! ..

ويميناً صادقة ، ما ادركت معنى الآية الكريمة « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً » الا في الطائرة ، ولم اعمل بها الا في

عالم الهواء ؛ فكنت لا اضع قـــدمي على ارض الطائرة الا عند الضرورة القصوى ، وكنت اضعهما في هون لا هون بعده ، ورفق لا رفق بعـده بينما كان احد الرفاق يتنقل مزهواً مختالا من مقعد الى آخر فكأنه كان يسير بنعليـــه الثقيلتين على نياط قلبي خشية ان تلين ارض الطائرة تحت قدميه .

وفجأة انطلق لساني بالشعر ، فاذا بي اخاطب الطيار – وهو لا يسمع كلامي لشدة ازيز المحركات – متمثـــلا ببيت بشر بن عوانة :

انل قدمي ظهر الارض اني رأيت الارض اثبت منك ظهراً !

فيشير الطيار برأسه دلالة على فهمه لما اقول ، لقد فهم اني من عشاق السرعة والارقـام القياسية ، وها هو يفتح اجهزة الطائرة على اقصى مداها من السرعة فتنطلق كالسهم تشق كبد الفضاء ثم يلتفت نحوي التفـاتة المفضل الكريم ، اما انا فسقطت خائراً على مقعدي لا الوي على شيء !

وتمر الخواطر المزعجة في مخيلتي متعاقبـــة فاستعرضها بسرعة وكراهية ، هذا فتحي وهذا صادق اولا نسرين عثمانيين ، لقد لقيا حتفهما في الرحلة الاولى ، وهـذا ضريجهما في دمشق ! وهذه احدى طائرات المستر تشرشل ؛ الم تتحطم في طريقها الى بالطة ؟ وهـذا جيش من الطيارين وكلهم في ريعـان الشباب ، وليس بينهم من

وخط المشيب رأسه ، كلهم يموتون في ربيع الحياة ، ما اقصر اعمارهم !... واقرأ نبأ سقوط طائرتنـــا في صفحة الاخبار المحلية وأرى اسمي بين الضحايا بحروف سوداء ترقص في الصحيفة وتقهقه ساخرة متمثلة ببيتي المعري :

اقلقتم السابـح في لجه ورعتم في الجو ذات الجناح
هـذا وانتم عرضة للفنـا فكيف لو خلدتم يا وقاح ؟

* * *

وآلمني أشد الالم اني كنت في الطائرة عنصراً مهملاً لا شأن له في تسيير دفة السفينة . لقـد تعودت ان أشارك سائق السيارة في كل حركة من حركاته فاضغط بقـدمي وقت الخطر كأني اكبس معه على الفرامل ، اما في هذه الطائرة فقد كنت عضواً أشل ، لا حول ولا طول ولا قوة لي في درء الخطر ساعة نزوله ، تحت رحمة الرياح والطيار ، كنت اشبه شيء بذلك المقعد الجامد الذي اجلس عليه أو كطرد من البضاعة استلمه الطيـــار في دمشق ليسلمه في القاهرة او ليقذف به في اجواء هذه الدنيا العربية التي جئنا نحتفل بميلادها ، فتتناثر اشلائي في فضائهـا ولا تكتحل عيني برؤية أحلام صباي الذهبية حقيقة واقعة !...

آلمني الاشتراك في تبعة قيادة الطائرة — وانا الذي ما تعودت الفرار من التبعات — وحز في نفسي انني اصبحت مسيراً في سفينة

اجهل اسرارها ، ولا سلطة لي في تدبير شؤونها !

ولكن اليست الحياة الدنيا طائرة كبيرة لا شأن لنا في تسييرها ، يديرها الربان الاعظم ، وعلى الرغم من ذلك فنحن نتهافت على حطامها كالفراش ونتقبل خيرها وشرها ، نعيمها وجحيمها ، ونمجد الباري عز وجل !

سري عني قليلا عندما تسرب الى قلبي اطمئنان المتوكلين المستسلمين لقضاء الله ، وزال الخوف والقلق ، واذا بالمحركات الاربعة تتوقف فجأة ، وتقف بنا الطائرة في اعالي الجو ! ..

ما هذا ؟ محطة في السماء ؟ لقد بلغنا اذن السماء الاولى ! ولكن كيف ننزل ؟ وهنا شعرت بتوبيخ شديد لهذه الدعابة الخطرة مع الخالق جل شأنه وخشيت نقمته فرحت اردد بعض الادعية القديمة واستغفر الله . واذا بالطيار يلتفت نحوي مبتسماً ويشير الى الارض :

— لقد وصلنا ! .

وهبطت الطائرة ونزلنا ارض الكنانة واذا برفيقي يردد قوله تعالى : « اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم ! » وكأني لم اسمع هذه الآية من قبل ! اجل لقد هبطنا مصر ولقينا فيها ما نوعد : لقينا ملكا عزيزاً يضحك فتضحك له الدنيا ، وشعباً كريماً يؤسس الحياة قوية يانعة على ضفاف النيل ، وفي هذا الوادي الجميل المبارك

تحققت احلامنا الذهبية وولدت دنيا العرب الجميلة ! . .

***

ومشيت على الارض هونا ومشيت مختالا ، وشعرت بلذة لا عهد لي بها من قبل ، لذة السير على الارض ! ...

باقة من زهر الصحراء ..

●

استغرقت الرحـــلة الجوية من دمشق إلى القاهرة نحو ثلاث ساعات وكلفتني زهاء ١٣٠ ليرة سورية بينما تكلف الرحلة بالسيارة إلى حيفا ومنها إلى القاهرة بالقطار وفي الدرجة الأولى ٧٠ ليرة . وقد اتيح لطائرتنا التوقف في مطار « اللد » الفلسطيني نحو ربع ساعة استراحت فيها آذاننا من أزيز المحركات وتناولنا خلالها وجبة خفيفة تتألف من فنجان من الشاي والحليب وعدد معين محدود من « الساندويش » . كل شيء في فلسطين خاضع لسياسة التقنين ، ولعلك تستطيع بالجدل والمنطق اقناع الخادم في مطعم المطـــار بالعدول عن « وعد بلفور » ، فذلك أيسر من أن تظفر منه بملعقة ثانية من السكر الأسمر يضيفها إلى فنجان الشاي ، وعبثاً عرضنا عليه الاستغناء عن بعض قطع الحلوى لقاء ملعقة ثانية من السكر فكان جوابه الرفض ، فالشاي في فلسطين لا يعتـــبر قانونياً إلا بملعقة واحدة ! .

وفي مطار « الماظه » فتش الموظفون حقائب المسافرين ، وجاء دور حقيبتي المزبلة فعثروا فيها على نسخة واحـــدة من كتابي « التعاون الثقافي بين الأقطار العربية » فحجزها الموظف المسؤول ليحيلها إلى الرقيب قبل السماح لها باجتياز الحدود . شقّ عليّ أن افارق النسخة الوحيدة من كتابي ، وآلمني ألا أستطيع اهداءها فور وصولي إلى المجاهـــد العربي عبد الرحمن عزام بك ، ولكنني كنت مسروراً في قرارة نفسي ، فقد ظفرت بقارىء مصري يقرأ كتابي ولو على الرغم منه وبدافع الوظيفة ....

***

غادرنا « الماظه » في سيارة شركة الطيران فاجتازت بنا مدينة الشمس (هليوبولس أو مصر الجديدة) بأبنيتها الفخمة المبنية على الطراز العربي الأندلسي ، وقطعنا شارع الملكة نظلي الطويل الذي يصل القاهرة بمصر الجديدة فلفت نظري هـــذا السيل الدافق من السيارات في مختلف الميادين العامة ، وهذا النظام البديع في تسهيل المرور ، وهذا الزحام الهائل في الشوارع تعج بالخلق ، ويقـــدر العارفون سكان القاهرة اليوم بنحو مليونين ، كما أنني لاحظت أن النظافة في عاصمة الشرق لم تعد كالسابق عندما زرتها عام ١٩٣٧ ، وأن أعوام الحرب الستة وما رافقها من تدابير صارمة قد تركت اثرها ، وشعرت لأول وهلة أن شيخوخة سابقة لأوانها قد نزلت

بمدينة المعز والقـــاهر وانها تحتاج الى تجديد شبابها عندما تضع الحرب أوزارها .

***

ووقفت بنا السيارة امام فندق الكونتنتال ودخلت ردهته الكبرى فاذا هي حافلة باللبنانيين والسوريين وعقيلاتهم ، من الذين يشتغلون بالسياسة وغير السياسة ... حلقات منتثرة هنـــا وهناك . لا تكاد تحيي طائفة منهم حتى تباغتك طائفة اخرى فتلقى وجوهاً كنت قد أضعتها مدة في بيروت فاذا بك تلقـــاها في القاهرة ، وتسمع لهجات ليست مصرية خالصة ولا لبنانية اوسورية خالصة بل هي بين بين ، يا لله ما الذي جذبها الى عاصمة الشرق، هل هو الشتاء الدافيء والشمس السرمدية الاشراق ، أم هو رخص المعيشة ، أم هذه الأفلام المصرية العربية الجديدة يتهافتون عـــلى شرائها ، أم ترى هي جامعة الدول العربية تحمسوا لها فهاجروا من أجلها وأتوا يشهدون الاحتفال بتوقيع ميثاقها !.

لست أدري لماذا أوحى اليّ هذا الجو العابق برائحة لبنان ، الجو الذي ألفته في « مقهى العجمي » في بيروت دون سواه من أندية لبنان ، ولعل الحلقة الكبرى التي يتزعمها الصديق المجاهـــد صلاح الدين بيهم هي التي ذكرتني بجلساته الشهـــيرة في « مقهى العجمي» مع اخوانه الثمانية يوقعون برقيات الاحتجاج على سياسة

الانتـــداب وتجمع بينهم السياسة السلبية ، ثم تفرقهم السياسة الايجابية ايدي سبأ ...

وكان أول عمل قمت به بعد مصافحة الاخوان ان توجهت ابحث في ادارة الفندق عن غرفة آوي اليها فكان الجواب رفضاً قاطعاً فالغرف جميعهـــا محجوزة ! وأوحى إليّ بعض الاصدقاء اللبنانيين ان أدسّ في يد موظف معين ورقة مالية تنفتح امامي أبواب الحجرات على مصاريعها فقلت له : وهنا ايضاً !.. وكدت اتناسى مثلي العليا وهممت ان افسد ضمائر موظفي الفنـــدق (!) لولا ان انقذني من هذه الحمأة صديقي وصديق اللبنانيين ، المقيم على الوفاء أحمد رمزي بك ، فهو الذي قدمني الى مدير النزل فحصلت حالاً على غرفة ممتازة كبيرة فيها ثلاثة سرر نمت فيها وحدي « ! » ولم أدفع اكثر من ٥٠ قرشاً مصرياً في الليلة الواحدة !..

***

وصلت القاهرة مساء الخميس في ١٥ اذار (مارس) وكان من المقرر ان يصل الوفد اللبناني بالقطار في التاسعة والربع من صباح الجمعة ، فدهشت عندما وجدت اكثر اللبنانيين في الفندق يجهلون هذا النبأ وسرني اني حملت الى بعضهم هذه البشرى السارة .

وفي الميعاد المعين من صباح الجمعـــة أطل القطار يحمل دولة الرئيس كرامي وحاشيته وكان الاستقبال قاصراً على رجال

المفوضية اللبنانية وبعض الطلبة والاصدقاء وممثل عن وزارة الخارجية المصرية وباقة من ازهار الصحراء الزرقاء ! ...

ونزل دولة الزعيم وسط عـــاصفة (متواضعة) من التصفيق وتخطى اكياس البصل واقفاص الدجاج المكدسة امام الحافلة في طريقه الى مؤتمر الجامعة العربية ! ...

***

هذا الاستقبال لا يمحوه من مخيلتي الا مشهد الوداع المؤثر بعد عشرة ايام فقط قضاها الزعيم كرامي في مصر .

جموع زاخرة من كرام المصريين والسوريين واللبنانيين وعلى رأسهم مندوب جلالة الملك ورئيس الحكومة وجميـــع الوزراء ورئيسا الشيوخ والنواب وزعماء مصر وقادتها واعيانها يشيعون وفد لبنان في قطار جلالة الملك فاروق الخاص!

عشرة ايام تبدل فيها الجو غير الجو ، والسماء غير السماء ...

حكاية الطربوش الملكي

●

توجه دولة الرئيس كرامي ورجال الوفد عقب نزولهم من القطار رأساً الى سراى عابدين حيث سجلوا اسماءهم في سجل التشريفات الملكية ثم عادوا الى المفوضية اللبنانية في الجيزة وكان يرافقهم وزير لبنان المفوض الاستاذ يوسف سالم .

تقع المفوضية اللبنانية في اجمل ضواحي القاهرة ، على ضفاف النيل ، تحيط بها الحدائق الغناء وهي كناية عن « فيلا » عصرية غاية في الفخامة والاناقة تتألف من طابقين فسيحين الاول للاستقبال والطعام والثاني للمنامة . والى جانبها جناح خاص لمكاتب المفوضية بناه صاحب الدار خصيصاً لهذه الغاية . وهي تخص المواطن اللبناني السيد نجيب صالحه الذي اجرها للحكومة اللبنانية باثاثها ورياشها بمائتين وثلاثين جنيهاً مصرياً في الشهر الواحد ووضع سيارته الخصوصية تحت تصرف وزيرنا المفوض .

وسرني ان ارى علمنا المفدى يخفق فوق سارية المفوضية

وفوق سيارة الوزير وابتهجت لرؤية صورة فخامة الرئيس الاول تزين صدر البهو الكبير وتمنيت لفخامته مع الاخوان الشفاء القريب . *

واخذت الوفود من المصريين والجاليتين اللبنانية والسورية تزور المفوضية مرحبة بدولة الرئيس وصحبه اعضاء الوفد وكان يستقبلهم الوزير المفوض الاستاذ سالم ورجال المفوضية باللطف والايناس ويقدمونهم الى دولة الزعيم كرامي الذي كان يتنقل بينهم من حلقة الى حلقة ويتحدث اليهم احاديث الوطن ويطمئنهم عن صحة فخامة اللبناني الاول ، واذا بسيارة تقف وينزل منها مندوب جلالة الملك الفريق عمر فتحي باشا يحمل الهدية الملكية « الطربوش التاريخي » .

لبس الزعيم كرامي الطربوش شاكراً وقال :

« كل ما يأتي من جلالة الفاروق يوضع فوق الرأس »

وسأله صحفي عن أثر الطربوش الملكي في رأسه فأجاب : « ان هيبة الفاروق تنعكس على رأسي فتكسبني هيبة ووقاراً ! »

وتجاسر خبيث وقال :

« ان جلالة الفاروق شاء ان يذكر دولة الزعيم بحادث اعتقاله تحت حراب العبيد ، حاسر الرأس ، بملابس النوم .. وكيف ان

* كان فخامة الرئيس يستشفي في فلسطين .

الزعيم آلى على نفسه الا يرتدي لباساً للرأس قبل ان يتم للبنان استقلاله . فكان هذا الطربوش الملكي دلالة على ان لبنان بانضمامه الى ميثاق الجامعة العربية قد ضمن استقلاله ضماناً لا يعدله ضمان . ولكن بالله عليكم ، أخبروني كيف عرف جلالة الفاروق قياس رأس الزعيم كرامي فجاء الطربوش كالقالب حفراً وتنزيلا ؟.

فأجابه دولة الرئيس فوراً :

« ان جلالة الفاروق ايده الله ، خبير بقياس الرؤوس وبوزنها ايضاً ... »

***

وروى بعض الحضور حكاية طربوش دولة فارس الخوري في مصر ، فالمشهور عن الرئيس السوري ان رأسه يضع رقماً قياسياً في الشام من حيث الاتساع (المليء علماً وحكمة ونبوغاً ونكتة ايضاً) . وقد طاف دولته بحواتيت بائعي الطرابيش ، فاهتدى اخيراً الى طربوش يناسب رأسه ، ولكنه اختلف مع البائع على السعر ، فقال صاحب الحانوت للرئيس فارس الخوري :

- لن تجد يا بك طربوشاً بهذا القياس في مصر كلها !..

فأجابه الرئيس الخوري بظرفه المشهور :

- ولن تجد رأساً بهذا القياس في مصر كلها ...

وكانت النكتة سبباً في الاتفاق على السعر ...

ودخل دولة الرئيس يستريح من رحلة متعبة قضاها في القطار وعدنا نتحدث مع الاخوان حديث الهدية الملكية الطربفة ، فهذا أول طربوش يهديه جلالة الفـــاروق ، ودولة الزعيم كرامي أول عربي اهدي طربوشاً ملكياً . وتمنى أحد الظرفاء أن يحتفظ دولة الرئيس كرامي بالطربوش فلا يستعمله بل يبقيه أثراً تاريخيّاً ويظل ذكرى طربفة للدعابة الملكية السامية .

كتمت سراً خطيراً ...!

•

غداً السبت في ١٧ آذار (مارس) موعد اجتماع الوفود العربية في قصر الزعفران لالقاء نظرة نهائية على الميثاق قبل إرساله إلى الطبع فلنترك دولة الرئيس كرامي يستقبل وفود المهنئين في المفوضية اللبنانية ويرد بعض الزيارات الرسمية ، ويختلي برجال الوفد اللبناني الرسمي ويتناقش معهم في مواد الميثاق ولا سيما الناحية القانونيـــة الدولية منه فقد استحضر الاستاذ صبحي بك المحمصاني عضو الوفد صندوقين ضخمين من الكتب الشرعية والمستندات .وكان له بعض العزاء في أنه احتاج إلى مراجعة كتاب واحد منها فلم يحمل هذه المجموعة الهائلة من الكتب عبثاً ... أما أنا فذهبت اجتمع إلى من أعرفه من اللبنانيين المتمصرين واستمع إلى آرائهم في ميثاق الجامعة العربية ، ولا اذيع سراً إذا قلت إن المفاوضات لم تكن سرية — كما كان من المفروض أن تكون — فقد كان بعض الأصدقاء يطلعني على تفاصيلها الدقيقة كأنه كان يحضر جلسات الزعفران

بانتظام ! ...

سمعت الشيء الكثير عن سير المفاوضات ودونت في مذكراتي معلومات هامة خطيرة احتفظ بها للتاريخ ولا أرى من الحكمة نشرها الآن ، على اني علمت ان موقف لبنان كان موضع الجدل في مختلف الاوساط المصرية واللبنانية والسورية ، ففريق يرى في المولود الجديد تراجعاً عن بروتوكول الاسكندرية وهو يستقبل هذا التراجع بسرور . وهذا يمثل وجهة نظر الانعزاليين . وفريق آخر يرى في الميثاق الكمال وهذا يمثل وجهة نظر المعتدلين ، وفريق ثالث ينقم عليه لانه لم يجد فيه تحقيق احلامه العربية البعيدة وهذا هو رأي المتحمسين للعروبة الشاملة باوسع معانيها .

واذا كانت الحكمة تقضي بكتمان ما تسرب الينا من انباء المفاوضات السياسية ، فليس ثمة ما يمنعني من التحدث عن أعمال اللجنة الثقافية .

لقد عقدت هذه اللجنة اجتماعات عديدة واتفقت بالنتيجة على ما يأتي :

١ - توقيع معاهدة ثقافية بين الاقطار العربية لا تختلف كثيراً في نصها عن روح المعاهدة المعقودة بين مصر والعراق .

٢ - انشاء مجلس ثقافي تابع لمجلس الجامعة العربية .

٣ - احداث مكتب ثقافي دائم ينفذ مقررات المجلس الثقافي

ولعل اغرب حادث جرى في اجتماعات لجنة الثقافة الحادث التالي اورويه وانا واثق من صحته فقد سمعته من مصادر مختلفة وهي لا تختلف في روايته :

لقد طلب ممثل العراق في اللجنة الثقافية الدكتور متى العقراوي السماح لحاملي الشهادات العليا من أرباب المهن الحرة (كالاطباء والمهندسين والمحامين والاساتذة) بمزاولة اعمالهم في جميع الاقطار العربية دون قيد ولا شرط فيتاح للمحامي اللبناني الاقامة في مصر والمرافعة فيها وللمهندس المصري العمل في الحجاز مثلاً وللطبيب السوري العمل في العراق الخ .. أتدري من الذي وقف في وجه هذا المشروع الجليل ؟ هو لبنان ! المتخم بحملة الشهادات ، لبنان الذي ما يزال يصدر الاطباء والمهندسين والمحامين والمعلمين الى الاقطار العربية ، هو الذي يعارض في تحقيق هذه الفكرة على لسان احد مندوبيه في اللجنة الثقافية ! ..

وجاء يوم السبت واجتمعت اللجنة التحضيرية في الساعة الخامسة بعد الظهر في قصر الزعفران ووقف دولة الرئيس كرامي والقى كلمته التاريخية التي لم يصفق المؤتمرون لسواها من الكلمات التي القيت ، وقال لهم بصراحته المعروفة :

– ان لبنان منكم ولكم ، وان لبنان لم يقف يوماً ولن يقف ابداً حجر عثرة في سبيل تحقيق اماني العرب فلا تنسبوا

التراجع إلى لبنان وها أنا باسم لبنان أعدكم بتوقيع كل ميثاق تتفقون عليه دون قيد ولا شرط ...

وعادت الوفود بعد هذه الجلسة الى فندق الكونتنتال فسمعت دولة فارس بك الخوري يتحدث في حلقة من رجال الصحافة السورية قائلاً :

« لقد كان موقف الرئيس كرامي عظيماً في الجلسة ، فقدوضع النقاط على الحروف ، وكان آية في الصراحة والاتزان ، لقد كسب المعركة منذ الجولة الاولى ! »

وعقدت اللجنة التحضيرية اجتماعها الاخير يوم الثلاثاء في ٢٠ اذار فانجزت مهمتها وانقلبت إلى مؤتمر الجامعة العربية وتقرر أن يحتفل بتوقيع الميثاق يوم الخميس في ٢٢ أي بعد يومين ليتاح لأشهر خطاطي مصر كتابة النسخة التاريخية الأثرية من الميثاق ولتحضر المطبعة الأميرية المصرية الطبعة الممتازة الخاصة .

واجتمع دولة الرئيس كرامي في المفوضية اللبنانية يوم الأحد في ١٨ آذار بشخصية سياسية كبيرة جداً اجتماعاً دام ساعتين وشاهدته يودع ضيفه وعلى وجهه إشراق لم أره من قبل ، فسألته مستبشراً عن نتيجة هذه المقابلة فأجاب دولته :

— أنتم معشر الصحفيين لا تؤتمنون على سرّ ومهمتكم افشاء الاسرار فما العمل ؟

قلت : سأكون بشراً لا قرارة لها !

قال دولته : اسمع إذن ، لقد تقرر دعوة لبنان وسوريا إلى مؤتمر سان فرنسيسكو فهل أنت راض الآن ؟

– كل الرضى يا مولاي !

وكدت أطير من الفرح وأقبلت على دولة الرئيس اصافح يده مهنئاً متمنياً له دوام السير بلبنان من فوز إلى فوز .

وهكذا يرى دولة الرئيس اني كنت أميناً للعهد الذي قطعته على نفسي فقد حملت السر اسبوعين كاملين ولم أبح به لأحد، ويرى الزملاء الصحفيون ولا ريب اني بكتماني هذا قد خنت واجب المهنة الصحفية لأول مرة ، ولآخر مرة ...

شهداؤنا اولئك الجنود المجهولون

•

نحن في الثاني والعشرين من آذار المصادف يوم الخميس ، وفي مفكرتي حفلتان رسميتان : الاولى حفلة توقيع ميثاق الجامعة العربية في الساعة الرابعة بعد الظهر في قصر الزعفران ، والثانية الحفلة الملكية الساهرة في قصر عابدين على شرف الوفود العربية في الساعة العاشرة ليلاً .

وإذا كان هـــذا اليوم تاريخياً فريداً في أيام العرب السياسية بالنظر إلى توقيع الميثاق فهو ولا ريب تاريخي أيضاً في أيام الحفلات فقد كانت سهرة عابدين ليلة من ليالي العمر ، هيهات أن يجـــود بمثلها الدهر !

واني محدثك اليوم عن جلسة الميثاق وغداً عن حفـلة الملك ، مليكة الحفلات !..

*

هذا هو العلم اللبناني يخفق في مقدمة الأعلام السبعة فوق قصر

الزعفران ، بعد أن نفض عنه ألوان الخضوع ، فبدا رمزاً لسيادة قطر عربي يعشق الحرية ويريد الخير للجميع ويكره الأثرة – حتى في الصداقات ! – ويرغب في حياة وادعة آمنة يتعـــاون فيها إلى أقصى حد مع شقيقاته العربيات .

ويداعب النسيم الأعلام السبعة فتتجه كلها في اتجاه واحد كأنها ترمز إلى هذا الاتجاه الجديد الموحد الذي تنوي أن تحتفـــل به الشعوب العربية بعد دقائق .

وآلمني ألا أرى علم فلسطين بين الأعـــلام السبعة وأن تحرم مراكش والجزائر وتونس – هذه الأقطار العربية مائة بالمائة والتي تضم حوالي ٣٠ مليوناً – من المساهمة في جامعة الدول العربية !..

وكان دولة النقراشي باشا رئيس المؤتمر يستقبل الضيوف عـلى باب القاعة الكبرى بلطف وبشاشة بالغين ، ويصافحهم وهو مشرق الوجه ، فبدا لي كأنه ابن ثلاثين على الرغم من أنه تجاوز الخمسين !. وبعد أن اكتمل عقد المؤتمرين جلسوا حول مائدة كبيرة في وسط القاعة – وظل مكان اليمن خالياً ! – وجلس المدعوون على كراسي صفت حول المائدة – على غير نظام – فكان بعضهم يقف ليشاهد ما يجري على المائدة . وكان عشرات المصورين يثبون كالقردة من زاوية إلى أخرى ومعهم أنوار الماغنيزيوم – يرسلونها في أوجـــه الزعماء . وكان وزير الصحة والمواصلات وفؤاد أباظه باشا رئيس

الاتحاد العربي واقفين ورائي ! - لقد حضروا الحفلة على طريقة امرىء القيس « وقوفاً بها صحبي علي مطيهم » - والخلاصة لم تكن الحفلة من الروعة والوقار والهيبة بدرجة تتناسب وروعة هذه الخطوة المباركة التي يخطوها العرب ! .

ولفت نظري أن المحتفلين بالجامعة العربية كانوا كلهم من الجنس الخشن ولم تشترك سيدة واحدة في الحفلة ، لقد صدقت صاحبة العصمة هدى هانم شعراوي حيث قالت: هذا ميثاق نصف الجامعة العربية ! ...

وافتتح الحفلة دولة النقراشي باشا بكلمة رصينة ثم تعاقب رؤساء الوفود بكلماتهم وكان ترتيبهم حسب حروف الهجاء : سوريا . شرقي الاردن . العراق . لبنان . المملكة السعودية . وكنت أراقب مندوب فلسطين الاستاذ موسى العلمي وهو يستمع إلى الخطب فكان صورة ناطقة للحزن والأسى ! وحز في نفسي ألا أسمع له صوتاً بين هذه الاصوات ...

وآلمني أن يعود العرب في خطبهم إلى فخرهم أيام الجاهلية الاولى ، فاذا هم يتنافسون على شرف بعث الفكرة العربية ، وإذا كل منهم ينسب هذا الشرف لنفسه . فهذا رئيس الوفد الاردني يتحدث عن القنبلة الاولى التي أطلقها المغفور له الملك حسين في الحرب الكبرى الماضية . وهذا رئيس وفد العراق يؤكد أن

الطلقة العربية الاولى كانت من « المدفع الهاشمي » . وهذا رئيس الوفد السعودي يرجع الطلقة الاولى إلى ذلك الاجتماع التاريخي بين جلالتي الفاروق وابن سعود في رضوى بالحجاز .

وتنتهي الخطب أو الطلقات ويبدأ توقيع الميثاق فاذا بالطلقات تتجدد ولكنها حقيقية هذه ، ترسلها مدافع مصرية في سماء القاهرة احتفالا بتوقيع الميثاق ، وكأنها جاءت تضع حداً لهذا الخلاف ، وعددت الطلقات فاذا هي احدى وعشرون .

وآلمني أن يوقع الميثاق وهو أداة للسلم في العالم تحت لعلعة المدافع ، ولكني ذكرت مدافع موسكو ترسل طلقاتها السلمية احتفالا بالنصر ، فلماذا لا يحتفل العرب بهذا النصر ، اليس الميثاق نصراً من الله وفوزاً مبينا ؟ .

وبعد أن دلفنا إلى مقصف حوى ما لذ وطاب خرجت مسرعاً لأعدّ العدة لسهرة عابدين الملكية وإذا بمجاهد عربي كبير يتأبط ذراعي ويهمس في أذني قائلا :

ـ لولا لبنان لخرجت كئيباً من هذه الحفلة فقد آلمني هذا التنافس على شرف بعث الفكرة العربية ، ولكن لبنان قال كلمة الحق ، وهو الوحيد الذي أشاد في هذه الجلسة التاريخية بجهود شهداء العرب ، اولئك الجنود المجهولين الذين نسيهم العالم العربي في هذه الغمرة من الفرح الشامل ...

ليلة من ليالي العمر !

●

مشكلتي في مآدب مصر الكبرى واحدة تكاد تكون مزمنة ، هي مشكلة الملابس الرسمية ! فالدعوة الى سهرة عابدين تشترط ان يرتدي المدعوون ثياب السهرة والنياشين . اما بذلة السهرة فهي « الفراك » او « الارنبة » – في لغة أسيادنا رجال المجمع اللغوي الملكي – وكان علي ان استأجرها هذه المرة من شارع عماد الدين حيث تقوم اندية اللهو والمسارح ، في حانوت صغير يقدم الملابس للممثلين ويجهز روايات كشكش والكسار وغيرها .

نقدت صاحب الحانوت جنيهين مصريين فناولني « ارنبة » عتيقة انتزعها باعجاب ورفق من دولاب كانت متدلية فيه ، غريبة وسط ملابس تمت الى العصور القديمة والوسطى ، بين قميص « عطيل » وسروال « هملت » ورداء روماني ليوليوس قيصر !

آلمني ان يحسبني صاحب الحانوت الممثل الاول في فرقة ناشئة للهواة في الارياف فيعرض علي ملابس اخرى للسيدات ويعدني

بالمهاودة في الاجرة ...

وما ان وصلت الى الفندق احمل « الارنبة » حتى ذكرت قضية النياشين وتمثلت نفسي في الحفلة عاطل الصدر من الاوسمة بين هذه الصدور العربية والاجنبية العامرة بالنياشين البراقة ، وانا الذي ما قمت بحياتي بعمل استحق من اجله شكر الوطن ، اللهم الا وساماً لا أدري كيف جاءني بالبريد المضمون من سلطان مراكش - هناك يقدرون العلم والفضل !.. - ولا اذكر ما صنعت به طفلتي التي كانت تزين به صدر دميتها فخطرلي ان اعود الى حانوت شارع عماد الدين استأجر منه ما تيسر من الاوسمة ولكني عدلت لضيق الوقت ...

وحوالي الساعة العاشرة كنت في سيارة « تاكسي » على ابواب قصر عابدين بملابس السهرة - اي السروال القصير والسترة الضيقة والصدرية القصيرة ولك ان تبتسم اذ تعلم ان جيوب السروال لا تقف اليد فيها عند الحد المعين لانها ممزقة ... فلم أجد جيباً اضع فيه علبة السكاير والمحفظة - المهم اني دخلت القصر كما يدخله العظماء وبملابس العظماء ..

***

وزلت بي القدم وانا اسير بحذائي اللماع الجديد على المرمر اللماع البراق فكدت اهوي كالتل الكبير - وكادت تقع الكارثة

– لو ان لطف ربك وامسكني احد الحراس بعد ان تهاديت ذات اليمين وذات اليسار فأفادني ما كنت قد حذفته في فن التزحلق ايام الدراسة ...

وتابعت السير وسط صفين من الحرس الملكي ، بقاماتهم المديدة الممشوقة كالرماح وبشاربهم الريان وسمرتهم الحلوة وملابسهم الانيقة ، ووقفتهم العسكرية الجامدة ، حتى خيل الي وانا انظر الى احدهم قرب عمود من اعمدة القصر انه تمثال لولا ان تحركت عيناه ...

ما هذه العظمة وما هذا الجلال يا ناس ! لقد زرت قصور فرساي مقر آل بوربون ، فلم تبعث في نفسي هذه الروعة التي شعرت بها وانا اجتاز الردهات الفخمة في عابدين من قاعة عظيمة الى هو اعظم ! ما هذه النقوش البديعة في السقوف وما هذه الانوار المتلألئة والمنتثرة في كل مكان وما هذه التحف الفنية الرائعة لاشهر فناني العالم تزين الجدران ! هذا اسماعيل وهذا ابراهيم وهذا محمد علي وهذا مشهد لاحدى المعارك ! ...

وآلمني الا استطيع الوقوف طويلاً امام كل تحفة من هذه التحف فسيل المدعوين يتدفق وعليك ان توالي خطواتك بانتظام حتى لا تعرقل حركة المرور ...

واخيراً وبعد ان اجتزنا نحو عشر قاعات انتهى بنا المطاف الى

صالون فسيح جداً كان يعج بالمدعوين بارنباتهم وقد انتثروا حلقات حلقات فانتحيت زاوية مع صديقي الاستاذ فؤاد صروف والدكتور بشر فارس ، استمع الى حديثهما الطلي وأتفرج على الناس من بعيد محاولا ألا يراني أحد بهذا الزي العجيب ، ولكم وددت ألا أكون في ملابس شارع عماد الدين فارسل نفسي على سجيتها وانتقل من حلقة إلى أخرى بطلاقة وطمأنينة ...

وبعد ربع ساعة فتح بابان كبيران وانطلقنا نجتاز قاعات جديدة فسيحة الى ان بلغنا مسرح القصر وهو بحجم منتدى وست هول ولكن على طراز فخم يتناسب وروعة القصر .

وبعد ان استقر المدعوون في أمكنتهم دخل جلالة الفاروق فوقفنا وعزف النشيد الملكي ثم جلس جلالته في الصف الامامي والى يمينه سفير بريطانيا اللورد كيلرن وعن يساره سفير ايران محمود جم ثم رؤساء الحكومات العربية والوزراء المصريون والوفود

ووزعت علينا مناهج الحفلة المطبوعة طبعاً انيقاً ملوناً مذهباً وبدأ مهرجان الجامعة العربية فشاهدنا الآنسة هاجر تقوم برقص عربي اخاذ ، راق دولة الرئيس كرامي فقال لجلالة الفاروق مداعباً :

– هذه توابل الجامعة العربية ! ..

فقهقه جلالته وضحكت القاعة واسبغ عليها الفاروق حفظه الله جواً من المرح والحبور .

وبعد ان شاهدنا العاباً بلهوانية ممتازة ورقصاً غريباً بديعاً وفصلاً من رواية مجنون ليلى لشاعر العرب شوقي جاء دور بلبل العرب وكروان الشرق صاحبة العصمة أم كلثوم فصدحت بقصيدة للشاعر محمد الاسمر :

زهر الربيع أرى ، ام سادة نجب ... وروضة اينعت ، ام حفلة عجب
تجمع الشرق فيها فهو مؤتلق ... كالعقد يلمع فيه الدر والذهب
كفاه ان يد (الفاروق) تنظمه ... وانه أمـل ، للشرق مرتقب
بني العروبة هذا القصر كعبتنا ... وليس فيه من الحجاج مغترب
عجبت للنيل ، وهو الماء ينسكب ... يكاد من لفحات الشوق يلتهب
حياكم وهو جذلان ، وقال لكم ... ان العروبة فيما بيننا نسب
«هذي يدي عن بني مصر تصافحكم ... فصافحوها تصافح نفسها العرب»

رما ان وصلت أم كلثوم في انشادها إلى البيت الثالث في مدح الفاروق حتى اخذت النشوة دولة النقراشي باشا فرغب ان يستعيد البيت ولكن البروتوكول يمنع مثل هذا الطلب من رئيس مصري في حضرة المليك ، فمال الى دولة الرئيس كرامي واستحلفه بكل غال ان ينوب عنه في هذا الطلب ، فاعتذر الرئيس كرامي ولكنه نزل اخيراً عند رغبة النقراشي باشا والحاحه واذا بالقاعة تسمع صوتاً ينادي :

– كمان ، والله كمان ، يا ام كلثوم ! ...

ويضحك جلالة الملك ونضحك جميعاً ونصفق طويلاً ...

وانتهى المنهاج وخرج جلالة الملك يتبعه المدعوون واجتزنا طريقاً جديدة وشاهدنا قاعات جديدة . وسحرتنا بصورة خاصة حديقة النبات الشتوية Winter Garden وانتهينـــا الى مقصف لا يقال عنه الا انه ملكي ...

وتوسط جلالة الفاروق المقصف بوجهه المشرق وطلعته المهيبة الوضاءة ، يوزع احاديثه الودية الطلية وملحه الطريفة على رؤساء الوفود ، وعلى ثغره ابتسامة طبيعية لا تفـارقه ، فنسيت ان في القاعة اناساً ، فلم ار سوى الملك ، وقضيت دقائق اتأمل وجهه الكريم فقرأت فيه الصدق والاخلاص ، وشعرت - وانا الجمهوري الصميم - في هذا البلاط العظيم لاول مرة بحب للملكية ، وشعرت ايضاً بعد ان القيت نظرة على سائر المدعوين بان الملكية لا تؤجل ارتجالا...

قضيت عشرة ايام في القاهرة لم اعش فيها سوى ليلة واحدة ، هي ليلة عابدين ، وها هي قد ولت مع الاحلام العابرة ...

* * *

وقال لي الدكتور بشر فارس ونحن نغادر عابدين :

- لقد ادهشك عابدين اليس كذلك ؟ ولكنك يا صديقي ، لم تر « قاعة العرش » وهي ابهى القاعات !.

فقلت له :

- يكفيني اني شاهدت صاحب العرش !

على الرصيف !...

•

حلقات ثلاث اعجبتني في مصر، وهي تعجب كل اديب وصحفي وسياسي ، وكنت اجد فيها نزهة روحية ، تروح عني عناء العمل المتواصل – فالحفلات والمآدب والمقابلات الرسمية اشغال شاقة ومرهقة ! – لذلك كنت آوي اليهـــا كلما سنحت لي الفرصة ، الاولى حلقة حلمي عيسى باشا في الكونتنتال ، والثانية حلقة الاستاذ الجميل في « مثلة الاهرام » والثالثة على الرصيف !

وتبدأ حلقة الباشا حوالي الساعـــة السادسة مساء في الفندق وتضم نخبة ممتازه من رجال الادب وفي طليعتهم الزيات والحكيم والكيلاني وصديق لبنان الوفي احمد رمزي ، واسعد داغر والمازني وسامي السراج وسواهم ، وصدف ان كان المربي العـلامة ساطع الحصري في القاهرة فانضم الى الحلقة ، وكان يتردد اليها من وقت لآخر دولة الرئيس فارس الخوري .

ولعل القراء يعرفون فارس الخوري القانوني والسياسي ولكنهم

لا يعرفون عن ادبه شيئاً ...ولا عجب فهناك كثيرون نبغوا في ناحية من نواحي الثقافة ، طغت على سائر النواحي فحجبتها ! ألم يشتهر ابو نواس بالشعر وكان من اكبر المحدثين ! واشتهر الشافعي بالفقه وهو من اعظم الشعراء ! وعرف الامام علي بالفروسية والفلسفة والشعر والادب والقضاء ولكنه لم يشتهر بالنكتة والفكاهة والدعابة مع انه كان له فيها كلها نصيب وافر ! .

وجرى الحديث ذات ليلة عن ابي العلاء فطرح دولة الخوري هذا السؤال :

– هل كان ابو العلاء مؤمناً ؟

فانبرى الاستاذ الكيلاني يرد بطلاقة تنم عن سعة اطلاع شارحاً « رسالة الغفران » في فلسفة ابي العلاء فقال ان المعري كان مؤمناً ولكن ايمانه يختلف عن ايمان رجال عصره . وما اشد دهشتنا حين سمعنا دولة الرئيس الخوري يستشهد بما كتبه اديبنا الاستاذ عبدالله العلايلي وبابيات ابي العلاء ، فاذا هو يحفظ سقط الزند واللزوميات ومولع بحكيم المعرة يعرف عنه مالا يعرفه المتخصصون في ابي العلاء من مواطنيه الشاميين ..

وينتقل الحديث بنا الى الشعر المعاصر فاذا بالحلقة تجمع على ان مصر لم تنجب حتى الآن من يستحق امارة الشعر بعد شوقي ، واذا بها تثني اوفر الثناء على شاعر القطرين خليل المطران ، واذا

بها تعترف بان شاعر لبنان غير منازع هو الاخطل الصغير وشاعر سوريا هو عمر ابو ريشه .

اما حلقة الاستاذ انطون الجميل في مكتبه « بالاهرام » فتفتح ابوابها في الساعة الحادية عشرة ليلاً ولا تختتم قبل الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وهي حلقة خليطة فيها الوزير السابق والحالي والطامح بالوزارة وفيها رجال السياسة على اختلاف احزابهم ، يدفنون حزبياتهم عند المدخل في مكتب الاستاذ البهنساوي ، قصير مصر وظريفها - وتضم نخبة ممتازة من رجال الفن والصحافة والنواب ، يجلسون حول مكتب الاستاذ الجميل يسمرون ويتحدثون بينما يعمل رئيس تحرير « الاهرام » في مراجعة الانباء والمقالات ويشترك معهم في الحديث ويأكل « الحمص بالطحينة » والحلاوة اللبنانية ، وهو يجيد التنسيق بين هذه الاعمال الثلاثة ويحلق في كل منها الى حد بعيد ..

ولعل الكثيرين لا يعرفون شيئاً عن « بوفه الاهرام » الذي يجد الزائر فيه ما يطلبه من طعام وشراب باسعار مهاودة ولا سيما المأكولات اللبنانية ...

واتيح لي ان اتعرف في « الاهرام » الى قطبين من اقطاب « الشلة » وهما التوأمان الاستاذان مصطفى وعلي امين صاحبا « اخبار اليوم » ، فاشكل علي التمييز بينهما اول الامر ، لولا انني

اعتمدت رباط الرقبة علامة فارقة في الليلة الاولى ، ولكن القضية تعقدت من جديد في الليلة الثانية عندما بدل كل منهما رباط رقبته!

وسمعت الاستاذ كامل الشناوي يقص احاديثه الطريفة واعجبت بالقائه وهو ينشد قصيدة لايليا ابو ماضي بناء على طلب الاستاذ الجميل المعجب اعجاباً شديداً بشاعر المهجر الكبير.

وتتخلل هذه الاحاديث النكات والنوادر وتنتقل الموضوعات من الجد الى الهزل ومن العلم الى الفن والادب والسياسة فتمر الساعات سراعاً وانت جالس في مكانك لا تشعر بها تستعرض رجالات مصر والاقطار العربية وحوادث الساعة المحلية والاجنبية.. وتستمتع بظرف الشيخ الجميل وانسه وادبه .

ولعلك تدهش اذا انبأتك ان الاستاذ انطون الجميل على الرغم من مشاغله الكثيرة في « الاهرام » ومجلس الشيوخ يتبع باهتمام الحركة الادبية في لبنان ويطالع مجلاتنا الاسبوعية بانتظام ،ورأيته ذات ليلة يطالع بشغف الازجال اللبنانية في جريدة «امير الزجل» ويتغنى باحد مقاطعها..

اما حلقة الرصيف فتنعقد قبل الظهر وبعده على رصيف مقهى في عمارة « ايوبيليا » – اضخم بناية في الشرق الاوسط – وقوامها توفيق الحكيم بطاقيته الكحلية التي لا تفارق رأسه ، ومنضدة وكتاب وفنجان من القهوة – اين الحمار ؟ – !

كل شيء في توفيق الحكيم يذكرني بأناطول فرانس ، لاسيما تلك الساعات الطويلة التي كان يقضيها اديب فرنسا على ارصفة « السين » يتفحص الكتب القديمة المعروضة على الجانبين ... اليست شبيهة بهذه الساعات يقضيها الحكيم وحده على رصيف مقهى ! على ان ثمة فرقاً واحداً ، وهو ان الحكيم يتفحص الكتب الجديدة !

اليست هذه السابلة السارحة في الشوارع طبعات جديـــدة لكتاب قديم واحد هو الانسان !

هنيئاً للاديب يستمد ادبه من هذه الكتب المتحركة !..

ذلك هو الادب الحي !..

لبنان ضحية استعمارين !

●

كانت حفلة المفوضية اللبنانية بعد ظهر السبت في ٢٤ آذار على شرف الصحافة المصرية غاية في الاناقة ضمت نخبة ممتازة من اركان صاحبة الجلالة وعلى رأسهم شيخ الصحافة العربية غير منازع الشيخ الوقور الاستاذ الكبير فارس نمر باشا مؤسس «المقطم» و«المقتطف» وهو الآن في الثانية والتسعين أمد الله في عمره .

انتظم المدعوون حلقات وكان دولة الرئيس كرامي ينتقل من واحدة الى أخرى وينثر أحاديثه المشبعة بالدعابة والنكتة الموفقة بينما كان وزيرنا المفوض يوسف بك سالم ورجال المفوضية يبالغون في اكرام الضيوف ويدعونهم الى مقصف فاخر حوى ما لذ وطاب

وكان دولة الرئيس كرامي واسطة التعارف بين نمر باشا والنائب جورج بك زوين (عميد السن) فتساءل احد الحضور : ترى ايهما اكبر سنا فاذا بالشيخين ينسحبان وينتحيان زاوية بعيدة، متأبطاً كل منهما ذراع الاخر ، ويتحدثان همساً — ما أروع هذا

البياض في هذين الرأسين المتساندين هو غبـــار وقائع الدهر ! — ويفضي كل منهما الى الآخر بسنه الحقيقيـة ، ثم يعودان ضاحكين وقد اتفقا على حسم عشرة في المائة فقط من عمرهما ، فكانت سن نمر باشا ٨٢ وسن النائب زوين ٧٢ !

وتنطلي علينا المؤامرة او نتظاهر بذلك على الاقل ، وتبـدو امارات الارتياح ، على وجه الشيخين فاذا بهما يستسلمان الى دنيا الخيال برهة من الزمن وينعمان بلذة الوهم ، الم يعودا عشر سنوات الى الوراء !.. — ثم لا يلبث ان ينغص عليهما الخادم هـذه المتعة الوهمية فيعود بهما الى عالم الحقيقـة اذ يناول كلا منهما فنجاناً من الشاى يأخذه بيدين ترتجفان ، فتغيب تلك الابتسامة الحلوة لتخلفها كآبة السن ، وان للسن كآبة واية كآبة !..

ان للسن لهمـــاً ، حين تعلو وعذابا !..

***

ويخطب أحد الصحافيين المصريين مرحباً بدولة الرئيس كرامي ورجال الوفد شاكراً باسم الصحافة المصرية للمفوضية اللبنانيـــة حفاوتها فيرتجل دولة الرئيس كلمة من كلماته الموفقـــة ما ازال اذكر منها هـــذا المقطع الاخير الذي قوبل بالتصفيق والهتاف . قال :

لقد كان لبنان فيما مضى ضحيـــة استعمارين غاشمين : استعمار

باسم الدين ، واستعمار اشد وأدهى باسم التمدين ! ولكن لبنان الجديد قد نفض عنه غبار هذين الاستعمارين وخلع ثوب الطائفية البالي ، ونذر نفسه للاستقلال التام والعروبة ! »

وكان الاستاذ فارس نمر باشا قد آلى على نفسه — وهو الخطيب المفوه — الا يخطب في حفلة عامة نزولا عند رغبة الطبيب الذي حظر عليه كل انفعال نفساني ، ولكنه بعد ان سمع كلمة دولة الرئيس وقف ويداه ترتعشان ، وقال هذه الكلمة بصوت متهدج ودمع الفرح يطل من عينيه :

ساخالف عامداً متعمداً نصيحة الطبيب ، واذا مت بين يديكم الآن فاني أموت قرير العين ناعم البال ، فقد رأيت احلام طفولتي الذهبية حقيقة واقعة في هذا الميثاق الذي وقعه رجالات العرب ! وسأذهب الى العالم الاخر وأبلغ رفاقي المجاهدين الذين سبقوني الى دار البقاء ، ان العرب قد وحدوا كلمتهم ، وان جهودهم وتضحياتهم لم تذهب عبثا ... وسنقيم في دنيا الخلود عرساً للعروبة تشترك فيه الملائكة الاطهار وأرواح الشهداء ...

وجلس الشيخ وكان كل عرق فيه ينتفض لشدة الانفعال والتأثر وكانت الدموع تسيل مدراراً على خديه الوردين — رغم الشيخوخة — فلم نتمالك عن البكاء ، فكان فريق منا يصفق وفريق يمسح عينيه .. والتفت فاذا بنائب جبل لبنان جورج بك زوين يمسح عينيه

فاقتربت منه مداعباً وقلت له :

– وانت تبكي يا جورج بك وتذرف دمع العروبة ؟ فأجاب :

– انا عربي اكثر منك !. انا عربي وأبي عربي وجدي عربي ، ولبنان عربي ولا يمكن ان يكون غير ذلك !..

قلت : – هذا تصريح « لبيروت » ؟

فأجاب :

– نعم « لبيروت » وللدنيا قاطبة ...

وأعجبني الاستاذ الشيخ أدمون الكسبار نقيب المحامين – وكان قد وصل بالطائرة منذ نصف ساعة يصرح في حلقة ضمت الاستاذين القانونيين فؤاد عمون وصبحي المحمصاني :

– ميثاق الجامعة خطوة مباركة ولكننا نصبو الى أبعد من ذلك بكثير !.

صاحبة الجلالة ...

●

شعرت في هذه الأيام العشرة التي قضيتها في مصر بان للصحافة فيها مكانة محترمة تحسدها عليها صحافة لبنان وسوريا والعراق . ولعل الصحافة المصرية مدينة بهذه المرتبة الرفيعة الى عاملين اثنين:

اولا : الطبقة التي تعمل في الصحافة .

ثانياً : التجهيزات الصحفية .

فاصحاب الصحف المصرية – العربية منها والفرنجية – يمثلون بوجه عام النخبة الفكرية في مصر وجلهم من حملة الشهادات العليا الجامعية ومن ذوي الثقافة الرفيعة ، ولا نغالي اذا قلنا انهم بمجموعهم اعلام الادب والسياسة ، بينهم النائب وعضو مجلس الشيوخ والوزير والاستاذ في الجامعة ، والعالم والمؤرخ والاديب . فالاستاذ خليل ثابت والشيخ انطون الجميل (عضوان في الشيوخ) والاستاذ فكري اباظه (نقيب الصحافة ورئيس تحرير المصور) ، والتوأمان مصطفى أمين وعلي امين (صاحبا اخبار اليوم)

والشناوي والحمامصي وجودة اعضاء في مجلس النواب . والوزير مكرم باشا عبيد (صاحب الكتلة) وحسين هيكل باشا رئيس الشيوخ . والاساتذة العقاد (عضو الشيوخ) والزيات والمازني وصروف وطه حسين والحكيم واحمد امين ، وابو الفتح والتابعي واسعد داغر ، عمدة الادب في مصر ، وصاحبا دار الهلال اميل وشكري زيدان ، وصاحب الجورنال دیجیت ادجار جلاد يجمعون بالاضافة الى ثقافتهم الرفيعة ودراستهم النظرية العالية للصحافة استعداداً فريداً وخبرة طويلة .

هذه الثقافة الرفيعة وهذا المستوى الراقي الذي ينتمي اليه رجال الصحافة المصرية ، انزلا صاحبة الجلالة هذه المنزلة المحترمة في عين الحكومة وفي قلوب الشعب .

اما التجهيزات الصحفية في مصر فحديثها طويل: الورق موفور والصحف تصدر باربع او ست صفحات وتصدر ست مرات في الاسبوع ، وتكاد تجد لكل صحيفة مصرية مطابعها الحديثة الدوارة (روتاتيف) التي تطبع الجريدة بجميع صفحاتها مرة واحدة وبالالوان وتطويها بمعدل عشرين الف نسخة في الساعة !

وقد رأيت مطبعة جديدة احضرها من اميركا الزميل الاستاذ جلاد صاحب الجورنال دیجیت الفرنسية وهي تطبع الجريدة بصفحاتها الثماني او الست عشرة مرة واحدة بمعدل ٧٢ الف نسخة

في الساعة .

وشاهدت بناء دار الهـــلال الجديد ، وهو افخم بناء صحفي في الشرق .

والجرائد المصرية لا تعتمد الطريقة القديمة في تنضيد الحروف بل تستعمل « اللينوتيب » او « الانترتيب » وهي آلة كالآلة الكاتبة يضرب عليها العامل فتسكب بالرصاص المصهور حروفاً وكلمات تطبع عليها جريدتك ثم تعيد صهرها من جديد . الحرف يتجدد كل يوم وفي هذا متعة للقارىء . والآلة سريعة وفي هذا تلبية للصحافة الحديثة التي تعتمد السرعة قبل كل شيء !

والصحافة المصرية تعتمد في برقياتها الخارجيـــة على وكالات الانباء العالمية الكبرى كروتر والصحافة المتحـدة ، وهي تتلقى البرقيات في مكتبها دون عناء بواسطة آلة لاقطة تجدها في كل صحيفة مصرية كآلة التلغراف تدون على شريط من الورق البرقيات طيلة ساعات النهار وبدون انقطاع .

وقد وقف اصحاب الصحف المصرية رؤوس اموال طائلة على صحفهم ، يدلك على ذلك هذه البنايات الضخمة التي تقوم فيهـــا جرائدهم ، وهذه المكاتب الفخمة التي يعمل فيها المحررون ، وهذه المرتبات الكبيرة التي يتناولونها .

والصحافة المصرية الجبارة تغزو الاسواق في جميع الاقطـــار

العربية ، تنقل اليها جواً فتصل في الوقت المناسب وتباع باسعار رخيصة فلا تلقى مزاحمة تذكر من صحفنا المحلية المسكينة !..

***

رأيت هذه النهضة الصحافية الجبارة في مصر وذكرت صحفنا الهزيلة في صفحتين ، تصدر خمس مرات في الاسبوع - هذا اذا حظيت بالورق - وتعتمد في انبائها الخارجية على ما تلتقطه مشوهاً بواسطة الراديو او ما يردها مقتضباً من مكاتب الملحقين الصحفيين البريطانيين والاميركان والفرنسيين . ولا تجد من الورق ما تسد به حاجة قرائها ، وتعجز بحجمها الهزيل وحلتها المتواضعة ، ومادتها الضعيفة واسعارها المرتفعة ، عن مزاحمة الصحف المصرية في لبنان، فكيف تزاحمها في مصر ؟.. قضيت عشرة أيام في القاهرة لم اقرأ فيها صحيفة لبنانية واحدة !!. بينما يجد المصري عندنا جميع صحف بلاده بانتظام .

آلمني - بوصفي صحافياً ألا تكون صحافتنا اللبنانية - على الرغم من كثرتها العددية - في هذا المستوى الراقي ، ولكني - وأنا العدو للاقليمية الضيقة - وجدت العزاء كله في هذه الخدمات الجلى تسديها الصحافة المصرية للعالم العربي وهذه الثقافة العامة تنشرها منذ نصف قرن في مختلف اوساطه وطبقاته .

ووجدت امتيازاً واحداً لصحافتنا اللبنانية على زميلتها المصرية ، ولا شك في أن زملاءنا المصريين يغبطوننا عليه ذلك أن الصحافة المصرية ما تزال - ويا للاسف - ترزح تحت كابوس المراقبة في جميع الشؤون الخارجية والداخلية على السواء . فالرقيب المصري يجلس على منضدة خاصة الى جانب المحررين في كل صحيفة مصرية ، بينما أصبحت الصحافة اللبنانية طليقة من قيود الرقابة الداخلية على الأقل !

ورأيت الشيخ أنطون الجميل رئيس « الأهرام » ذات ليلة غاضبا - على غير عادته - يرعد ويزبد ، ويقوم ويقعد ، فسألته عن السبب فأجاب :

- هذا الرقيب الفطن حذف أمس من « الاهرام » نبأ داخلياً هاماً فصدعنا بالامر ، وها نحن نقرأ النبأ نفسه منشوراً في جميع الزميلات الصباحية !.. أين العدل يا ناس ؟..

فاخذت أخفف عنه وأروي له كيف كان الرقيب خلال سنوات أربع - ايام العهد البغيض - يحذف كلمة « عربي » كلما وردت في جريدة « بيروت » .

فاستغرب الصحفي الكبير هذا التشدد فاكدت له ان مجموعة « بيروت » شاهدة على ذلك !..

وأردفت قائلا :

ـ لقد حذفوا العروبة من السطور ولكنها ظلت كامنة أتتجج في الصدور إلى ان دالت دولة الظلم ، فظهرت داوية ملء السمع والبصر ، ورأينا لبنان يمهر عروبته بالاجماع والى الابد في ميثاق الجامعة العربية ..!

البذلة الجديدة !..

●

تعرفت الى الاستاذ فكري اباظه النائب المحترم والمحامي ونقيب الصحافة المصرية ورئيس تحرير مجلة المصور الغراء في مكتب الاستاذ شكري زيدان احد صاحبي دار الهلال، فاذا هو انحف مما كنت أتخيله ، بادي النشاط كثير الحركة - كان طيلة الوقت يتنقل بين اركان المكتب - تبرق عيناه من خلال زجاج نظارتيه فيشع منهما العزم والثقة بالنفس ، انيق المظهر محتفظ بنضارة الشباب كأنه لم يقض عشرين عاماً في رئاسة تحرير اكبر مجلة اسبوعية عربية ولم يجاهد طيلة ثلاثين عاماً في خدمة القضية الوطنية لا يحيد عن خطة الحزب الوطني - لا مفاوضة قبل الجلاء ! ...

قال لي وعلى وجهه أمارات الحيرة والدهشة :

- انا لا أفهم يا استاذ ، لماذا يحرص اللبنانيون والسوريون هذا الحرص على الاشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو . لا أفهم لماذا تعلقون هذه الاهمية على دعوتكم الى المؤتمر ، حتى أخذتم

تتوسطون لدى الدول الحليفة والعربية للحصول على البطاقة ! ان هذا الموقف الذي تقفونه لا يتفق وكرامتكم الوطنيـة في شيء ! لقد أغفلت الدول دعوتكم فلا تذهبوا ولا تكترثوا ، واياكم ثم اياكم ان ترسلوا – اذا لم تصلكم الدعوة الرسمية – وفداً غـير رسمي ، يقف على الابواب وينظر من ثقوبها ! وهل تظنون ان مؤتمر سان فرنسيسكو سيقرر شيئاً جديداً ؟ واخيراً فاني لا أفهم هذا الاهتمام البالغ يبديه اللبنانيون والسوريون بشأن دعوتهم الى المؤتمر ، فكأنها قضية موت او حياة لهم ! ...

قلت له :

– انت يا استاذي شديد التشاؤم ، اما نحن فمتفائلون ... قد أسلم معك بان اشتراكنا او عدمه لن يغـير في مقررات المؤتمر ، ولكن دعوتنا الى هذا الاجتماع الدولي قضية موت او حياة لنـا لانها تتعلق باستقلالنا !

وهنا قاطعني الاستاذ ضاحكاً :

– الاستقلال ! لقد صدق ذلك الظريف الذي قال لي يوماً ان اللبنانيين أصبحوا لا يتحدثون بغير الاستقلال حتى انك اذا قلت لاي لبناني : « نهارك سعيد » اجابك حالا : واستقلال لبنـان بحدوده الحاضرة ؟!..

فضحكت وتابعت حديثي :

– نعم ان الموضوع يتعلق باستقلالنا ، فاذا دعينا الى المؤتمر كانت دعوتنا بمثابة تأكيد وتأييد لهذا الاستقلال . واذا اغفلنا فاننا نأول هذا الاغفال تراجعاً من الدول الكبرى وعودة الى فكرة الانتداب البالية .

وبدا لي ان الاستاذ لم يرقه هذا التعليل ، فقلت له مداعباً :

– لبنان ، يا سيدي الفاضل غلام بالنسبة الى الدول الكبيرة ، وقد ظفر هذا الصبي بعد جهاد وعناء وتضحيات بثوب جديد زاه ، هو هذا الاستقلال ففرح به كثيراً ! ومؤتمر سان فرنسيسكو بمثابة عيد الامم المتحدة ، ان لبنان الصبي يرغب ان يرتدي هذه البذلة الجديدة الزاهية لاول مرة وفي اول عيد ! فهل بوسعك ان تقنع صبياً بالا يفرح ببذلة العيد ؟ ..

ضحكنا كثيراً وضحك الاستاذ شكري زيدان وقال كلمته المأثورة : مش بطال ! ...

***

لقد اخطأ الاستاذ اباظه في تشاؤمه – فخطة الحرد لم تعد تجدي نفعاً – ، وقد احسن اللبنانيون والسوريون صنعاً في تشبثهم بالدعوة الى المؤتمر ، وهذا وفدنا في طريقه الى سان فرنسيسكو وسيجلس في الخامس والعشرين من هذا الشهر لاول مرة في تاريخ السياسة العالمية على منضدة واحدة وعلى قدم المساواة مع الدول

الكبيرة ...

وسيحضر الاستاذ اباظه الملحق الصحفي الوحيد بالوفد المصري جلسة الافتتاح ولا ريب ،وسيرى لبنان الصبي مع شقيقته الكبرى مصر ، في معرض الامم المتحدة ببذلته الجديدة !

المقابلة الملكية السعيدة

انا في مصر ضحية البروتوكول !.

نحن في فندق « ناسيونال » في القاهرة عام ١٩٣٧ ، الساعة الواحدة بعد الظهر ، وقد حدد كبير الامناء الساعة الخامسة موعداً للتشرف بمقابلة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول في سراي القبة وابلغنا سعادته ان البروتوكول يقضي بان تكون الملابس رسمية من نوع « ريدنجوت » !

كنا اربعة ، وكنا نؤلف وفداً عن جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت برئاسة عمر الداعوق بك وعضوية السيدين أنيس الشيخ بك وحسن القاضي بك والفقير اليه تعالى ...

سألت الرفاق عما اذا كانوا يقتنون هذه البذلات السوداء فاجابوا بالايجاب فكلهم مخضرم أدرك العهد العثماني وعهد الانتدابات وكلهم يملك بقايا تلك البذلة التي كان يقابل بها الوالي التركي ايام المواسم في عهد السلاطين !...

أما أنا – الحديث العهد بالبروتوكول – فلم اكن لأميز بين

« الريدنجوت » و « البونجور » و « الفراك » و « السموكنغ » ، وغاية ما اعرفه عنها انها بذلات رسمية سوداء يرتديهـــا العظماء في الحفلات الرسمية والخدم في المطاعم الانيقة والفنادق الفخمة !

وكان يعجبني خادم في فندق « ناسيونال » باناقته الكامـــلة والمديدة ، فقلت في نفسي لعل هذه البذلة التي يرتديها الخـادم هي «الريدنجوت» المقصودة فاستعيرها منه أو استأجرها فتنتهي الحكاية ولا يشعر بذلك احد !... ناديته على انفراد واسررت اليه بما يجول في خاطري فابتسم بادب جم وقال :

– يا سيدي ، بذلتي شيء و « الريدنجوت » شيء آخر ، ولكنني أعلم ان صاحب الفندق – وهو بوناني انيق ، ومن جسمك تقريباً – يقتني « ريدنجوتا » جديدة فهل يأذن لي سيدي ان افاتحه بالامر ؟

– فاتحه ، ولكن بتكتم ولباقة ! وجنبني الفضيحة ، ســـتر الله عليك !

وعاد الخادم بعد لحظات وهو يبتسم قائلًا :

– يأسف صاحب الفندق جد الاسف فقد غادر « ريدنجوتـه » مع سائر امتعته الرسمية في اثينا !...

شكرته ، وقطعت ذلك الامل الذى عقدته على صاحب الفندق فاثينا بعيدة ! وبيننا وبين موعد المقابلة اقل من اربع ساعـــات ، فما العمل ؟ ...

هنا بدا لي ان استعين باصدقائي اللبنانيين المتمصرين لعلي اجد بينهم من يتكرم باعارتي « ريدنجونه » فتحل المشكلة ! تناولت سماعة التلفون وخابرت جميع من اعرفهم ، هذا غائب عن منزله ، وهذا قصير القامة ، وذاك غادرها في الاسكندرية والآخر يملك جميع اصناف البذلات الرسمية ما عدا « الريدنجوت » ...

واخيراً عنّ لي ان اطوف بحوانيت الخياطين وكي الملابس فسرت اذرع شارع سليمان باشا وكانت الساعة قد قاربت الثانية . اما الخياطون فمعظمهم في فترة الغداء ، والمستخدمون لا يستطيعون البت في قضية خطيرة كهذه ، واسيادهم لا يعودون قبل الرابعة ! واما حوانيت تنظيف الملابس وكيها فقد اجابني أصحابها بأنفة وتعاظم عندما عرضت عليهم « قانون الاعارة والتأجير » :

– نحن لا نؤجر « هدوم » الزبائن ! عدت حزيناً كئيباً الى الفندق وقد أسقط في يدي ، وانتحيت ناحية من ردهته الفخمة افكر في هذه الاوضاع العجيبة السائدة في « كوكبنا الجميل » وكيف يحول لون بذلتك او شكلها بينك وبين تحقيق امنية طالما تافت اليها نفسك !..

قلت : لا بأس ، حظك قليل يا رجل ! وغداً تعود الى بيروت كما يعود الحاج من مكة دون أن يقف في « عرفات » او ينهل من بئر « زمزم » !..

ولست أدري كيف الهمت فجأة ان ابوح بسر « الردنجوت » الى صديق المقاصد وصاحب فكرة التعاون الثقـــافي بين الاقطار العربية وكيل وزارة المعارف العمومية محمد العشماوي بك (باشا اليوم) الذي تفضل ورتب لنا هذه المقابلة الملكية السعيدة .

وللعشماوي بك معي حكاية قد لا تخلو من طرافة فقد تشرفت عام ١٩٣٦ بمقابلة معالي احمد نجيب الهلالي باشا وزير المعارف للاتفاق مع معاليه على معادلة شهادة المقاصد للشهادة المصرية وانتداب بعض الاساتذة المصريين الى لبنـان ، فاستدعى الوزير وكيله العشماوي ليتذاكر معه في هـــذه الشؤون ، فلما دخل علينا العشماوي بك الديوان قدمني الوزير اليه قائلا :

– عشماوي بك ، اقدم اليك الاستاذ عبد الله المشنوق بك – ولم اك بيكاً الا تلك الساعة ! ..

فابتسم العشماوي وأجاب فوراً :

– المشنوق ! هو عندي في أمان !..

وقهقه الوزير ووكيله ضاحكين حتى استلقيـا على مقعديهما ، وشاركتهما تأدباً في هذا الضحك – وان كان يبدو لي انه عليّ – واخيراً قلت للوزير :

– ايصح ان افهم النكتة حتى اشاركهما فعلاً في الضحك ؟

تشاورا فيما بينهما بالنظرات ثم قال الوزير :

– لا بأس سنطلعك على النكتة : ان العشماوي كلمة عامية مصرية وهي تطلق على الرجـــل الذي يتولى شنق المحكوم عليهم بالموت ، وانت ترى يا سيدي اني قدمت المشنوق الى الشانق ! وانا « ما ليش دعوة » بينكما !...

فضحكت ضحكا عالياً جدد ضحكهما فالضحك يبعث الضحك ، كما ان « الاسى يبعث الاسى ! » ...

واجتمعنا بعد عام في مأدبة أقامها المغفور له طلعت حرب باشا زعيم النهضة الاقتصادية المصرية على شرف وفد المقاصـــد في مصر حضرها الهـلالي باشا – وهو اظرف مصري عرفته – والعشماوي بك ووزراء آخرون ، وكنت جالساً الى جانب العشماوي على المائدة فقال الهلالي باشا على البداهة مخاطباً العشماوي بك :

– عشماوي بك ، الا يزال « حبل الود متصـــلاً بينك وبين المشنوق » ؟ !..

نعود بعد هذا الاستطراد الى حديث « الردنجوت » اللعين فقد اتصلت بسعادة العشماوي بك تلفونياً وقلت له :

– يا سيدي المفضال ، لن يتـــاح لي شرف المقابلة الملكية السعيدة ، لاني لا املك « ردنجوتاً » فما رأيكم ؟

– الحكاية بسيطة جداً ، سأرسل اليك حالاً مع سائق سيارتي بذلتي الرسمية الخاصة فجربها وارجو ان تناسبك ...

شكرت له هذه المنـــة فقد انقذني من هذه الورطة ولكن ليلقيني في ورطة أشد وأدهى ! فالعشماوي بك يضع الرقم القياسي المصري في طول القامـة ونحافة البنية ! فكيف ارتدى بذلته ؟ جلست ساهما افكر في هذه المشكلة الجديدة عندما قطع علي سائق السيارة تأملاتي وهو يحمل «الردنجوت» في بقجة من الحرير الخالص.

ويظهر ان الخادم لم يكن كتوماً كما اوصيته - شأن جميع الخدم - فقد بدا لي ان خدم الفندق وبوابته اصبحوا يعرفون انني ابحث عن « ردنجوت » لاقابل جلالة الملك ، فكانوا كلهم ينتظرون النتيجة !

صعدت الى غرفتي لاجرب الزي الجديد فلبست السروال أولا فاذا به يزيد في الطول نحو نصف ذراع ، وينقص مثله في موضع الحصر ! ويستحيل عليّ ان ازرره ما لم الصق معدتي بظهري ! واما السترة فطويلة جداً وهي تحتاج الى ان تكون مضاعفة في العرض لتخيط بصدري !

فكرت ملياً في هذه المشكلة الجديدة ورأيت اخيراً انه لا بد من اجراء عملية جراحية - للبذلة طبعاً - وعلى جناح السرعة فالساعة قد قاربت الرابعة ولم يبقَ امامي سوى ساعة من الزمن !

استدعينا على الفور خياطاً فأغار على البذلة ينقل بعض الازرار من مواضعها ، موسعاً ما استطاع توسيعه من اجزائها ، ثم غبن

السروال بعض الغبن ، ولم يلجأ في ذلك كله الى المقص . ووعدني بارجاعهـــا سيرتها الاولى بعد انتهاء المقـــابلة الملكية السعيدة هذا اذا لم يطرأ عليّ انفجار من جراء ضيق السترة والسروال ، وعندئذ فلن تعود « سالمة الى قواعدها » !.

وكان من المحتم عليّ ان ارتدي رباطاً خاصاً للرقبة يلتـــئم والردنجوت فهرعت الى أقرب حانوت من الفندق فناولني صاحبه رباطاً رمادياً مخططاً بالسواد !

سألته : – امتزوج انت ؟

فاجاب مشدوهاً : نعم ، ومنـــذ سنوات !..

– وهل لك اولاد ؟

– اربعة !

– اقسمت عليك بابنائك الاربعـــة ، قل لي أصادق انت في اختيارك هذا الرباط للردنجوت أم أنت تود استغلال سذاجتي ؟ ولما حلف بحياة ابنائه الاربعـــة ، نقدته الثمن وهرولت نحو الفندق لارتدي هذه البذلة اللعينة !

أرأيت طرداً من البضاعة وقد حزمته ايدي عمـــال اشداء ماهرين وشدته شداً وثيقاً بالحبال ليشحن الى بلاد نائية ؟ هكذا بدوت بعد ان لبست القميص اليابس والقبة العاليـــة المنشاة ، وزججت اعضاء جسمي زجاً مكبوتاً مضغوطاً في الردنجوت الضيق

فكنت أشبه شيء بآلة موسيقية شدت اوتارها أقصى ما يمكن من الشد ، فاصبحت متوترة عرضة للانقطاع عند اول حركة يأتي بها العازف ، او كنفاخة مستطيلة نفخها طفل يوم العيد فافرغ فيها ما احتوته رئتاه والح في النفخ غير آبه للعواقب فاصبحت عرضة للانفجار عند اول لمسة .

نظرت في المرآة فوجدتني مخلوقاً عجيباً لا يمت بصلة إلى ذلك المخلوق الذي رافقني ثلاثة وثلاثين عاماً ، فقلت : ترى هل صدقت تلك العجوز التي نظرت يوماً في المرآة فانكرت خلقتها وقالت : سبحان الله لقد تغير كل شيء حتى المرايا ! ..

اين هذه المرآة من مرايانا القديمة ؟ .

وعرضت نفسي على زملائي الثلاثة في هذا الزي الغريب فكبتوا ابتساماتهم واستسلموا للامر الواقع ... وقال أحـــدهم مداعباً : لا شك أنك ستكون بهجة المقابلة السعيدة ! قلت له : أي نعم !. وأي بهجة !

ولما هبطت أول درجة من السلم المؤدي إلى البهو ، لمحني بربري خبيث فهرول مسرعاً ينادي رفاقه ، وما أن وطئت قدمي آخر درجة حتى كنت أسير وسط صفين من الخدم والبرابرة استعرضهم وهم يستعرضون صنعة الباري التي عبثت بها التقاليد وشوهتهـــا أي تشويه ...

ووقفت على باب الفندق سيارتان رسميتان تنتظران ، فلما اقتربنا منهما قلت لرفاقي وقد اخذوا يحتلون مقاعدهم في السيارة :

ـ لن أجلس في السيارة !

ـ ما أنت صانع إذن ؟

ـ سأركب واقفاً ! ولتسر السيارة سيراً وئيداً ! أنتم لا تدركون الخطر المحدق بي .. ان أقل هزة قد تؤدي إلى انفجار !

وكان ما أردت ، وركبت واقفا نصف وقفة ، وانطلقت بنا السيارة نحو سراي القبة العامرة وفجأة مرت فوق اخدود لم يأبه له السائق فعلونا ثم هبطنا فصحنا به فوقف ، لقد سمعنا صوت شيء يتمزق ! فحصت ملابسي من قبل فلم أجد شيئاً ، وفحصها الرفاق من دبر فلم يعثروا على شيء وقال أحدهم :

ـ يظهر أن الأزمة داخلية !..

ودخلت بنا السيارة حدائق القبة الفسيحة تتهادى فرأيت من تنسيق الزهر والشجر على الجانبين « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر ! » ثم وقفت على باب القصر فنزلنا وأخذ لنا بعض الحرس التحية ولكنني كنت مشغولا عن ذلك كله أتلمس بيدي مواطن الضيق من سروالي واتفقدها ، فلما الفيتها سالمة سري عني ، وتبعت الرفاق يقودهم أحد رجال التشريفات الى ردهة الانتظار . وكنت اختلس النظر بطرف عيني بين الفينة والفينة

الى رجال الحاشية فلم المح في وجوههم اثراً للردنجوت ولعلهم الفوا هذه المناظر .

وكان في القاعة زائران ينتظران دورهما للمثول بين يدي الملك: احدهما مدير البنك الاهلي والثاني السيد المجـددي سفير الافغان ، وطاف علينا الخدم باللفافات الملكية الفـاخرة واكواب القهوة الفضية فجعلنا نحتسيها ونحن نتحدث عن الطريقة التي سوف نسلكها لتحية صاحب الجلالة ، فقد ادخلت في روع الرفاق ان الطريقة التركية القديمة ما تزال متبعة في البلاط وان علينـــا ان نتقدم خطوتين الى الامام وخطوة الى الوراء ونأخذ التحية من الارض الى الرأس ثم الى الصدر . وقد قمنا بتجارب عديـــدة في الفندق ومثلنا الدور بنجاح تام . قال احد الرفاق : هـذا سفير الافغان فتقدم منه واسأله ، وما ينبيك مثل خبير .

اقتربت من مواطن جمال الدين الافغاني وقد ارتدى بذلة سوداء فضفاضة وقميصاً حريرياً طرياً ، عاطلاً من رباط الرقبة ، وتدلى من جيب سترته العليا منديل من الحرير الابيض فقلت في نفسي كيف يلتئم فقدان رباط الرقبة مع هـذا المنديل المتدلي ؟ ثم قلت لعل هذا من مقتضيات البروتوكول في الافغان !. القيت عليه التحية فردها باطيب منها وبلغة عربية فصحى متحركة الاواخر ، وسألته :

ـ نحن نتشرف بمقابلة الملك للمرة الاولى فهل لكم ان ترشدونا

الى الاسلوب المتبع في تحية جلالته ؟ .

فاجاب : انني ايضاً اقابل جلالته للمرة الاولى غير اني تشرفت بمقابلة جلالة المغفور له الملك فؤاد وكان يصافح زائريه بيده الكريمة .

وجاء دورنا في المقابلة السعيدة فتقدم منا أحد رجال التشريفات . واذكر انه من آل يكن – وقد نسيت اسمه الاول – وقادنا الى بهو عظيم مؤد الى قاعة الاستقبال الملكية . وقبل ان نصل الى باب تلك القاعة استعلم رئيس الوفد من الدليل عن الاصول الواجب اتباعها في تحية جلالة الملك فاجاب بدهشة : ليس ثمة اية أصول او تقاليد ، فجلالة الملك ديموقراطي وبوسعكم ان تسلموا عليه كما ترغبون! وهنا سلقني الرفاق بنظراتهم الحادة ، فقد علموا اخيراً ان تمارينهم المتواصلة على اداء التحية الملكية على الطريقة التركية قد ذهبت مع الريح ...

ودخلنا القاعة والرهبة ملء نفوسنا لنقف عما قريب في حضرة مليك تتعلق به قلوب المصريين والعرب وتحبه حباً يقارب العبادة ، والقى رئيسنا التحية قائلا : السلام عليكم فرد جلالته بقوله : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . وكان جلالته واقفاً في وسط القاعة ، والابتسامة الوادعة على ثغره الوضاء ، ووجهه مشرق بالصحة والشباب وكانه شعر بالتهيب يملأ قلوبنا فشاء ان يخلع على المقابلة جواً من الانس والبشاشة والمرح فقال :

أهلاً وسهلا بكم، انا مسرور جداً بالاجتماع اليكم، تفضلوا تفضلوا .

وصافح جلالته كلا منا بقوة وحرارة ولما لمست يدي يده الكريمة استعرضني جلالته بنظرة سريعة من رأسي الى قدمي فلم يبتسم جلالته لمظهري العجيب فكانت منة قلدني بها جلالته لن أنساها مدى الحياة .

وأشار الينا جلالته ان نجلس فبحث رئيسنا تأدباً عن أبعد مقعد من جلالته وهم بالجلوس ولكن الفاروق حفظه الله ابى الا ان نجلس الى جانبه فشكلنا حلقة ضيقة حوله ، وجلس الرفاق على المقاعد الفخمة الوثيرة متأدبين غاية الادب في جلستهم ، واما انا فكنت أود ان اظل واقفاً - لاسباب لم تعد خافية على القارىء - ولكن جلالته أمرني بالجلوس فكنت ارفع الرفاق تأدباً في جلستي ، فالموقف خطر ولست ادري كيف كانت تنتهي هذه المقابلة السعيدة لو حدث الانفجار - لا سمح الله - وبدت مراويلي البيضاء ناصعة من خلال سروال العشماري الاسود ...

وكان يهمني في الدرجة الاولى أن أتميز الملابس التي يرتديها جلالة الملك ، فاذا بها غاية بالبساطة والأناقة وتتألف من بذلة رمادية واسعة -سبور- وقميص حريري رمادي في رقبته رباط ملون عقدته يد خبيرة فاهملت شدّه تعمداً ، وحذاء رمادي مخملي ، وكان هندام الملك في مجموعه ينم عن اناقة مهملة ، وهذه في نظري غاية الاناقة .

واقسم للقارىء انني ما غبطت جلالته على عرش مصر ولا على شبابه الغض الريان ، ولا على مـــا اتاه الله من بسطة في الجسم والرزق، بقدر ما غبطته على هذه السعة التي يرتع فيها جسمه خلال هذه الملابس الفضفاضة ، وما تبعثه هذه الثياب في جسم لابسها من راحة وطمأنينة بالنسبة الى ذلك الكيس الضيق الذي جعلني اتحرك حركات آلية خالية من المرونة والحياة كجنود الخشب التي يلعب بها الصبيان وتحركها آلات في جوفها ! ..

وبعد ان استمع جلالة الملك بعطف واهتمام الى كلمة قصيرة ارتجلها رئيسنا معرباً عن شعور بيروت ولبنان نحو جلالته ، اخذ المليك الجميل يتحدث حديثاً طلياً ينم عن اطلاع واسع بشؤون لبنان والعـــالم العربي ، وعاطفة سامية نبيلة ، وتواضع جم ، وديموقراطية صحيحة ، وصراحة لا حد لهـــا ، وكان اذا طال به الحديث الجدي لطفه بنكتة حلوة مستعذبة ، وموفقـــة ، يضحك فنضحك لهـــا ، وكان يتحدث ناظراً الى الارض فاذا انتهى من الفكرة ينظر نظرة خاطفة كأنه يتميز اثر الحديث في وجوهنا ، ثم يستأنف نطقه الملكي الكريم .

ومضت علينا الدقائق سراعاً ونحن لا نشعرها فقد خلبنا جلالته بحديثه الممتع وبجو المرح الذي ساد هذا الحديث ، وفجأة توقف جلالته عن الكلام واعتدل في جلسته فقد دوى صوت مؤذن

القصر ينادي بعذوبة : الله أكبر، الله أكبر ، اشهد الا اله إلا الله !

وساد الخشوع والصمت حتى نهاية الآذان وعندئذ تابع جلالته الحديث في الموضع الذي تركه فيه وقت بدء الاذان .

وانتهت المقابلة السعيدة ، بانتهاء حديث جلالته فنهض ونهضنا وتفضل جلالته وبالغ في اكرامنا فتبعنا ببضع خطوات وعـــاد فصافحنا وخرجنا وقد ادركنا تماماً سر تعلق الناس بمليك الكنانة !

●

اما الحديث الذي دار في هـذه المقابلة فقد كان من المحتم ان يظل سراً مكتوماً لولا ان الحوادث جاءت تذيعه للملأ ، فهذه جامعة الدول العربية حقيقة راهنة وقد دعا اليها الفاروق في تلك المقابلة السعيدة قبل ولادتها بثماني سنوات !..

في الاوبرا الملكية مع صاحب « اهل الكهف »

●

كنت في القاهرة عام ١٩٣٧ موفداً بمهمة ثقافية ، وكنت بداعي هذه المهمة أتردد بانتظام على ديوان سعادة العشماوي بك وكيل وزارة المعارف العمومية إذ ذاك — ومعالي العشماوي باشا وزير المعارف المصرية اليوم — وكان سعادته يبذل أقصى جهده لتسهيل مهمتي فهو بحق الرائد المصري الاول للتعاون الثقافي بين مصر والاقطار العربية الشقيقة ، وإلى مساعيه يرجع الفضل في ايفاد أول بعثة من الطلبة اللبنانيين الى جامعة فؤاد الاول ومعهد التربية ودار العلوم .

وكنت كلما دخلت على سعادته الديوان الفيت على بابه ازدحاماً هائلا وحشداً غفيراً من ذوي الحاجات ، فالمراجعات كثيرة — و « المركزية » ما تزال شديدة الوطأة في مصر — والواقفون في ردهة الانتظار أكثر من الجالسين على تلك المقاعد القليلة المنتشرة هنا وهناك ، وكان حفظه الله يأذن لي حالا بالدخول ويدعوني إلى

الجلوس على أحدى ارائك الجلد الوثيرة قبالة مكتبه ثم يمضي في تصريف الشؤون الملحة ، وعندما ينجز المهم منهـــا ، يتفرغ الي ويحدثني عن المساعي التي يبذلها في اختيار الاساتذة المصريين للبنان وتحضير نسخ من المناهج والبرامج والقوانين والكتب المدرسية المصرية لنستعين بها في بيروت .

وكنت في اثناء فترة الانتظار هذه ، التي كانت تطول احياناً الى أكثر من ساعة ، الهو تارة بمطالعة الصحف ، فاذا فرغت منها انصرفت إلى درس رياش الغرفة الفخمة مـــن صورة جـــلالة الملك فاروق فوق رأس وكيل الوزارة إلى تلك الستائر القاتمـــة واللوحات الفنيـــة المنتشرة على الجدران ،واتدرب – إذ أراقب سعادته خلسة ومن طرف العين – على ادارة المعارف... وبعد فمن يدري ؟

وكانت تعجبني منضدة كبيرة انيقة في زاوية بعيدة من الديوان مغطاة بالجوخ الاخضر – تذكرني بمثيلاتها في قاعات اللعب بمونت كارلو – وحولها مقاعد ووراءها مكتبة ملاصقة للجدار تضم بعض الكتب المجلدة تجليداً ثميناً... وشاهدت على أحد هذه المقاعد رجلاً نحيل البنية اعتيادي المظهر،وأمامه كتاب يطالع فيه تارة ، وينظر الى السقف نظرة شاردة تارة اخرى ، دون ان يكترث بما يجري حوله في الديوان ، فلم آبه له أول الامر وظننته ذا حاجة مثـــلي

ينتظر دوره .

ولكن زيارتي تتابعت للديوان ، وكنت بعد ان احيي سعادة العشماوي بك التفت الى زاوية القاعة فاجد صاحبنا قابعاً في مكانه كالعادة ، ولم يكن دخولي ولا دخول سواي من الزائرين سبباً كافياً لاثارة فضوله أو اهتمامه ، بل كان لا يأبه لما يجري حوله فهو يعيش في عالم غير هـــذا العالم – وبمرور الزمن ألفت منظر ذلك الكهل القابع كالمسمار بين المنضدة والمكتبة فأصبحت أنظر اليه كأنه جزء لا يتجزأ من رياش الحجرة .

ولم أجرؤ تأدباً على سؤال سعادة العشماوي عن هـذا الضيف المواظب لا يفارق الديوان لحظة ، كأنـه ملاكه الحارس ، وذات يوم نفذ صبري واغتنمت فرصة سانحـــة فهمست في اذن وكيل الوزارة مستفسراً عن هـــذا الشخص العجيب الذي لا يخرج عن صمته ولا يفارق مقعده ، فعجب سعادته غاية العجب وقال :

– غريب والله !انت لا تعرف الاديب الكبير توفيق الحكيم! تعال يا استاذ ! ونادى سعادته الاستاذ الحكيم الذي اقترب منـا ذاهلا وجلا كأنه عائد من عالم بعيد .. وقـــدمني اليه فنظر اليّ وهز يدي كأنه يصافحني امتثالا لرغبة الوزارة . وتمتم بضع كلمات لم اتبين منها حرفاً واحداً ... ثم عاد الى مقعده موزعاً بين الكتب والسقف !...

وأصبحت بعد أن تمّ التعارف بيننا ، أحييه من بعيد – كلما دخلت الديوان – فيحييني بطرف عينه كأنه يريد أن يقول بانه أخذ علماً بذلك .

وشاء سعادة العشماوى ان يتكلف ويدعوني الى الاوبرا الملكية فقال لي ذات ليلة :

–حجزت لك لوجاً في الاوبرا هذه الليلة وسوف تحضر مسرحية من تأليف الاستاذ توفيق الحكيم – ولفظ سعادته اسم الأديب بصوت مرتفع – ولكن صاحب « اهل الكهف » كان مع اهل الكهف فلم يأبه لذكر اسمه .

وتابع سعادة العشماوي قوله :

– وسيكون رفيقك في اللوج اديبنا الكبير الاستاذ توفيق الحكيم ، مؤلف الرواية (بصوت عال ايضاً) .

هنا تحرك الحكيم حركة رجل عثر في طريقه فاصيب بصدمة ، فتداعى على مقعده ووجه الينا نظرة أودعها ما في نفسه من يأس وقنوط ، وهزّ رأسه اشارة الايجاب والاستسلام .

***

انا في الاوبرا الملكية أحتل لوجا ممتازاً مع الاستاذ توفيق الحكيم اشاهد مسرحية « سر المنتحرة » تخرجها الفرقة القومية المصرية . وكان الاستاذ الحكيم يرقب باهتمام سير الرواية وحركات

الممثلين . وأما أنا فقد كان نظري موزعاً بين الرواية والمؤلف ، اختلس النظر اليه لأتميز في وجهه أثر الاستحسان أو الاستياء فكان وجهه صفحة ملساء من النحاس لا تستطيع أن تقرأ فيها حرفاً ...

وتحدثت إلى الاستاذ الحكيم في فترة الاستراحة بين الفصول عن الرواية وأشخاصها فكان يسمع ولا يجيب إلا باشارات غامضة لا تفهم منها شيئاً .. ولكن عندما تطرقت إلى نقد الحوار بين الممثلين وقلت له أن أبطاله يتحدثون الفرنسية باللغة العربية بدا على وجهه بعض الاهتمام ولكن لم يلبث أن زال وهو يقول متكلفاً عدم الاكتراث :

– ربما !..

وانتهت الرواية واسدل الستار على المشهد الأخير منها ، وفيه تلقي الفتاة بنفسها من النافذة فتموت ، ولكن جمهور النظارة ظلوا جالسين في مقاعدهم ولم يشعروا بان الرواية قد انتهت ... وكانهم مايزالون ينتظرون التتمة ، وظلت مثلهم قابعاً في مكاني وتظاهرت بالدهشة . ولكن الاستاذ الحكيم ايقظني من ذهولي وقال لي :

– تفضل يا استاذ ، لقد انتهت الرواية !

– حقاً لقد انتهت ؟.. لم أشعر بذلك ... وعلى كل لم أدرك يا استاذ سر المنتحرة ! فهل لك ان تبين لي سبب انتحارها ؟

وهنا كظم الاستاذ الحكيم غيظه وابتسم ابتسامة صفراء وقال بتهكم مكبوت :

– ليس من الضروري ان تفهم يا استاذ السرّ لا سيما وانني – أنا بنفسي – لا أعرفه ...

وكان يود ان يقول اكثر من ذلك وأعنف من ذلك ولكنه اكتفى بهذا القدر اليسير !

وخرجنا من الاوبرا وانا اشعر بنشوة الظفر فقد استطعت ان اخرج أديبنا الكبير عن طوره واعتداله بهذه الدعابة اللاذعة ...

وفي اليوم التالي التقينا كالعادة في ديوان سعادة العشماوي بك الذي سألني عن ليلتي في الاوبرا، وعن « سر المنتحرة » . فابتسمت ونظرت بطرف عيني إلى الاستاذ الحكيم القابع في زاويته كالعادة، فاذا بصاحب « شهر زاد » قد فارقه ذهوله فأفاق من سبات أهل الكهف وإذا به يرقب جوابي باهتمام بالغ وعيناه مفتوحتان تكادان تلتهمان كل شيء ..

ابتسمت وقلت للعشماوي :

– عظيمة ! . اليس كذلك يا استاذ ... والتفت إلى الاستاذ الحكيم فاذا به وقد عاد إلى شروده موزعاً بين السقف والكتاب !..

***

وانقطعت زيارتي عن مصر حوالي عشرة أعوام فانقطع اتصالي

بالاستاذ الحكيم إلى ان أتيحت لي زيارة الكنانة في اذار عام ١٩٤٥ لحضور ولادة جامعة الدول العربية ، فكان همي الاول ان أبحث عن رفيقي في لوج الاوبرا الملكية ..

لم أجده في مكانه بديوان وزارة المعارف .. ولكني وجدته على الرصيف . بقارعة الطريق . فالاستاذ الحكيم يقضي اكثر اوقاته وحيداً على الرصيف ، في مقهى عمارة ايومبيليا - أضخم بناية في الشرق الاوسط - وأمامه منصة عليها فنجان من القهوة وكتاب ! ..

توفيق الحكيم

يقص علينا ذكرياته مع شوقي في باريس

•

ها نحن في فندق « كونتننتال » بالقاهرة في آذار عام ١٩٤٥ ننتظر ولادة جامعة الدول العربية .. ولقد كان المخاض صعباً اول الامر ولكن الرئيس عبد الحميد كرامي استطاع بحكمته تسهيل الولادة فجاء المولود السعيد سليما قابلا للحياة وهو اليوم يحبو نحو الثالثة من عمره المديد .

ولم تكن الحلقات السياسية في الفندق لتطغى على الحلقات الادبية ، بل كانت الآية معكوسة وكان نفر من رجالات السياسة يفضل مجالس الادب على المناورات السياسة وينضم الينا وقد اجتمعنا حول فريق من ادباء مصر الاساتذة احمد حسن الزيات وتوفيق الحكيم والمازني وكامل كيلاني وبشر فارس واحمد رمزي القائم باعمال المفوضية المصرية في سوريا ولبنان سابقاً ، وكان يرأس

الحلقة عيسى حلمي باشا ، وكان في عدادها المربي الكبير العلامة ساطع الحصري وغيره ممن لا تحضرني اسماؤهم .

وكان الاستاذ فارس الخوري رئيس الوفد السوري في طليعة رجال السياسة الذين فضلوا حلقـــات مجلسنا الادبي على مجالس السياسة ، وكانت له جولات موفقة في عالم الادب اثبت فيها الاستاذ فارس انه اديب من الطراز الاول وانه يعرف عن حكيم المعرة ما لا يعرفه كثيرون في شرقنا العربي ..

وذات ليلة جرى حديث الشعر في حلقتنا ، وأتينا على ذكر امير الشعراء المرحوم احمد شوقي ، فقلت آسفاً : لقـد دالت دولة الشعر في مصر بل في دنيـا العرب بعد شوقي ... ولست أرى بين شعرائنا الناشئين من ببشر بان يكون خليفته .

وأخذ كل منا يروي ما يحفظه من نوادر شوقي وذكرياته معه .. واذا بتوفيق الحكيم يتحرك في مجلسه ويقول :

– لي مع شوقي في باريس ذكريات جميلة ...

وصمت على عادتـــه صمت أهل الكهف فرحت أرجو صاحب « اهل الكهف » ان يقص علينا طرفاً منها ، فتردد لحظة ثم طفق يتحدث فقال :

– كنت في باريس أقضي فصل الصيف حين جاءني نبأ وصول شوقي الى العاصمـة الفرنسية فأسرعت للترحيب به والسلام عليه –

ولم تكن بعد اواصر الصداقة قد توطدت فيما بيننا بل كانت معرفتنا سطحية – فبادرني رحمه الله بقوله وهو يعانقني ويداعبني :

– يا توفيق .. سامحني ، لقد تجاسرت واشرفت في غيابك ، وانا في القاهرة على اخراج رواياتك التمثيلية بالنيابة عنك ، فكنت أحضر التجارب واتقن الممثلين والممثلات ... واتصرف بالادوار في بعض الاحيان .. وكنت واثقاً انك سوف تغضي عن هذا التجاوز يبدو مني ، سامحني ... انت تعلم انني في هذه السنوات مولع بالروايات التمثيلية لا يفوتني حضور واحدة منها ... فانا مقبل على تأليف مسرحيات كلاسيكية شعرية وقد اخترت موضوع « كليوباطرة » لروايتي الاولى .

فاجاب توفيق الحكيم أمير الشعراء ان اشرافه على اخراج رواياته شرف عظيم لم يحلم به وشكر له هذا التنازل وهذا العطف الكريم .

وتابع الاستاذ الحكيم حديثه قائلاً :

– وبعد ان رحبت به وعرضت عليه خدماتي في العاصمة الفرنسية رغب الي أن أشتري له جميع التآليف والروايات الصادرة باللغة الفرنسية عن كليوباطرة ليعتمدها شوقي أساساً في وضع روايته الجديدة عن ملكة مصر ، وحدد لي – رحمه الله – اسبوعاً واحداً أطوف فيه بدور الكتب وبائعي الكتب القديمة على

ضفاف السين فاجمع له ما تيسر من هذه المؤلفات .

وصدعت بالامر وتقبلت المهمة شاكراً وشعرت اني إذ أقوم بهذه الخدمة اليسيرة انما أسدي خدمة جليلة للادب العربي حين أضع بين يدي أمير الشعر هذه المجموعة الكاملة من الكتب عن كليوباطره ، فتأتي روايته الجديدة مستوفية الشروط من الناحية التاريخية والتمثيلية فالذين كتبوا عن كليوباطرة من ادباء فرنسا كثيرون .

وبعد طواف أسبوع في حوانيت الوراقين جمعت له ما تيسر وشخصت الى الفندق حيث يسكن شاعرنا الكبير أحمل في سيارة « تكسي » رزمة ضخمة من الكتب فوضعتها بين يديه وانصرفت .

ومضى حوالي شهر .. انقطعت عني انباء شوقي فخطر لي ان أزوره في فندقه أتسقط انباء كليوباطره ... فقد أصبحت أشعر أنها تخصني كما تخص امير الشعر .. ولكن دخلت .. عليه غرفته فاذا هو في بعض حاجته في الحمام .. وخلا لي الجو فرحت أتفحص رياشها .. والهو بالنظر من خلال النافذة المفتوحة الى الشارع أدرس المارة – على عادتي – وتحين مني التفاتة صوب المكتب الذي يجلس اليه شوقي .. فيا لهول ما شهدت ..

قد رأيت رزمة الكتب كما أودعتها منذ شهر محزومة بالخيط نفسه فهي لم تفضّ .. ومما زاد في ألمي اني رأيت على المكتب الى

جانب الرزمة رواية كليوباطرة تأليف المرحوم جرجي زيدان مفتوحة وفوقها مسودة المسرحية الشعرية الجديدة وهي تكاد تكون جاهزة ..

قلت في نفسي يستحيل ان يكون شوقي قد اعتمد رواية زيدان وحدها ، وخطر لي ان يكون قد فض الرزمة وقرأ بعض كتبها ثم أعاد رزمها .. ففككت عقدة الخيط وفضضت الرزمة فاذا بي اجد الكتب التي اشتريتها – على حالها – بغلافاتها واوراقها التي لم تقطع فتأكدت عندئذ ان أمير الشعر لم يقرأ حرفاً واحداً منها .. ولست ادري .. لماذا خطر لي وانا اقلب هذه الكتب ان اردد قول شوقي :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم اجد لي صاحباً إلا الكتابا !

ودخل عليّ شوقي في هـــذه اللحظة فشاهدني اقلب الكتب وسمعني أردد بيت الشعر .. فلم يرتبك بل ابتسم وقال :

أجل يا توفيق .. الكتاب هو الصديق الوفي .. وهذه الكتب – واشار الى الرزمة – هي أصدقائي البررة ...

فقلت له مداعباً :

– ما أشد اخلاصك لاصدقائك الكتب يا باشا (هكذا كنا ندعو امير الشعراء) وما اشد وفاءك لها فانت لا تقطعها ..

ضحك المرحوم شوقي لنكتة القطيعـــة بين الاصدقاء وقطع

اوراق الكتب وقال معتذراً :

ـ الحقيقة ان مشاغلي كثيرة ومتع باريس اكثر .. فلم استطع قراءة كتبك او قطعها على الاقل لاتصفحها ... ولا شك في انك رأيت مسودة المسرحية الشعرية الجاهزة ... اسمع يا توفيق ... انا شاعر .. ولست مؤلفاً مسرحياً . واظن ان النقاد سوف يتساهلون في نقد روايتي الجديدة من الناحية المسرحية والحوار والمفاجآت وغير ذلك .. فالشعر هو الاساس .. واما التمثيل فانه عندي يأتي في الدرجة الثانية ..

انتهى الاستاذ الحكيم من حديثه فقال الاستاذ فارس الخوري:

ـ ان روايات شوقي خالدة في دنيا الادب العربي .. وليس خلودها قائماً على قوتها التمثيلية المسرحية وانما هو مبني على تلك الومضات الشعرية التي تتخلل هذه المسرحيات .. فهي ـ اي هذه الومضات ـ بحق خير ما قاله شوقي في ايامه الاخيرة .

ورحت ـ وانا المعجب بشوقي اعجابي بالمتنبي واحفظ نخبة صالحة من ديوانيهما ـ انشد الاخوان بعض هذه الومضات التي المع اليها الاستاذ فارس الخوري فرويت لهم مقطوعته التي يصور فيها الموت في حوار بين كليوباطرة والكاهن الاكبر انوبيس عندما حاول هذا اغراءها على الموت حفظاً لتاج مصر ان يمس بسوء ..

الكاهن يصور الموت بعضة ناب الافعى فيقول :

اذا جرحت لم تقم عن دم كذلك يجرح سهم القدر
ومائتهـــا لا يحس المنـو ن كمن مات في النوم لا يحتضر

فتردد كابوباطرة :

ومائتها لا يحس المنون كمن مات في النوم لا يحتضر
ولكن ابي هل يصان الجمال ؟

الكاهن :

نعم لا يحول ولا يندثر !

الملكة :

وهل يطفأ اللون ؟

الكاهن :

لا بل يضيء كما رف بعد القطاف الزهر !

الملكة :

وهل يبطل الموت سحر الجفون ويبلي الفتور ويفني الحور ؟

الكاهن :

كعهد العيون بطيف الكرى اذا الجفن ناء به فانكسر !

الملكة :

ابي والشفاء ؟

الكاهن :

لواقي الذبـــول كما احتضر الاقحوان النضر

وما الموت اقسى عليها فماً ولا قبلة من عوادي الكبر !

وانشدت صورة للمرائي زينون امـــين مكتبة كليوباطرة كما تخيلها المضحك انشو :

زينون :

سلام السماوات في مجـدها على ربة التاج ذات الجلال
تمنيت رأسين لا واحداً اذا مست الارض هام الرجال
اطأطيء رأساً لمجد النبوغ واخفض رأساً لمجد الجمال !

المضحك انشو :

اما يغنيـه عن رأسين رأس فيـه وجهان ؟
فحينـــا هو مصري وحينـــاً هو يوناني
وفي مجلس يوليـوس وانطونيوس روماني
وان لاقى آغا القصر فنـوبي وسوداني !

وكانت صورة الراعي والراعيـــة في مجنون ليلى ختاماً لتلك الجلسة اللطيفـــة في فندق كونتنتال – وهي من متع العمر التي لا تنسى ..

قال شوقي بلسان المجنون :

تعالي نعش يا ليل في ظل قفرة من البيـــد لم تنقل بها قدمان
تعالي الى وادٍ خلي وجـدول ورنة عصفور وايكة بان
تعالي الى ذكرى الصبا وجنونه واحـلام عيش من ديد وامان

فكم قبلة يا ليل في ميعة الصبا وقبل الهوى ليست بذات معان
اخذنا واعطينا اذ البهم ترتعي واذ نحن خلف البهم مستتران
ولم نك ندري يوم ذلك ما الهوى ولا ما يعود القلب من خفقان
منى النفس ليلى قربي فاك من فمي كما لف منقاريهما غردان
نذق قبلة لا يعرف البؤس بعدها ولا السقم روحانا ولا الجسدان
فكل نعيم في الحياة وغبطة على شفتينا حين تلتقيان
ويخفق صدرانا خفوقاً كأنما مع القلب قلب في الجوانح ثان

فهرس

صورة جلالة الملك فاروق

الاهداء	٣
المقدمة	٤
محطة في السماء الاولى	٥
باقة من زهر الصحراء	١١
حكاية الطربوش الملكي	١٦
كتمت سراً خطيراً	٢٠
شهداؤنا اولئك الجنود المجهولون	٢٥
ليلة من ليالي العمر	٢٩
على الرصيف	٣٥
لبنان ضحيه استعمارين	٤٠
صاحبة الجلالة	٤٤
البذلة الجديدة	٥٠
المقابلة الملكية السعيدة	٥٤
في الاوبرا الملكية مع صاحب اهل الكهف	٦٨
توفيق الحكيم يقص علينا ذكرياته مع شوقي في باريس	٧٥

DATE DUE

A.U.B. LIBRARY

962.052:M397aA:c.1
المشنوق، عبد الله
عشرة ايام في القاهرة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01050913

American University of Beirut

962.052:M397aA
المشنوق
عشرة ايام في القاهرة.

DATE	Borrower's Number	DATE	Borrower's Number

962.052
M397aA